صوت الراوي

تبتهج جماعة **الراوي**، وهي ترى هذه الدورية تأخذ مكاناً متميزاً لدى المبدعين وقراء الفن القصصي. وكم أسعدنا ترحيب العديد من الأكاديميين في سائر الوطن العربي بدورية **الراوي**، حيث أتاحت لهم – حسب تعبير الكثير منهم – .. الاطلاع على فن القصة القصيرة في هذا الجزء من عالمنا العربي، ومنحهم مادة للدراسة والنقد.

إن النادي الأدبي الثقافي بجدة، لا يؤمن بحدود إقليمية بين أبناء اللغة الواحدة، ولذا فإنه يصدر خمس مطبوعات دورية، أربع منها (**علامات**: في النقد، **نوافذ** لترجمة الأدب العالمي، **عبقر** الشعر، **وجذور** للتراث وقضاياه) تشرع أبوابها للكتاب العرب في أي مكان. أما **الراوي** فقد ركزت على مساحة جغرافية للإبداع المنشور فيها لعدد من الأسباب. أبرزها يأتي من منطلق الحجم الكبير للإبداع القصصي في هذه المنطقة؛ مما يستحق معه العناية والاهتمام. وكما يلاحظ القارىء الكريم فإن أربعة أعداد قد صدرت، وتم نشر إبداع لأكثر من مائة كاتب وكاتبة، ولم يتكرر حتى الآن كاتب واحد. ولا ريب أن هذا مؤشر لحجم الإنتاج، وتميز المنشور منه، رغم إدراكنا وإدراك المتابعين لحركة القصة القصيرة بأن عشرات الأسماء من الكتاب والكاتبات لم تنشر لهم الراوي حتى الآن شيئاً من إبداعهم. وتحاول **الراوي** الاتصال بهم وتأمل تواصلهم معها. ومع أن أدب الجزيرة العربية لازال دون الطموح

بالنسبة لانتشاره خارجها، فإن القصة القصيرة بشكل أخص تبدو أقل الأجناس الأدبية حظاً في هذا الإطار. كما أن غياب مطبوعة أدبية متخصصة في هذا الفن، في أي من أقطار الجزيرة العربية، يجعل مسؤولية الراوي أكبر، في تركيزها على القصة القصيرة في هذا الجزء من عالمنا العربي الواسع.

رغم اتساع قاعدة معلومات **الراوي** واتصالاتها، فإنها تعبر عن أسفها لعدم قدرتها الوصول إلى كل المبدعين والمبدعات، في هذه المنطقة. ورغم المحاولات الجادة للوصول إلى هؤلاء الكتاب عن طريق الاتصال الشخصي أو عبر المؤسسات الثقافية في بلدان المنطقة فإن النتائج الإيجابية جداً في بعض المناطق، قد لا تكون كذلك في مناطق أخرى. ونشعر بجزيل التقدير لكثير من أصدقاء الإبداع الذين يقفون معنا في دعم مسيرة الإبداع القصصي، من أبرزهم الأستاذ الدكتور عبدالعزيزالمقالح، والزميلان المبدعان خالد اليوسف، وفريد رمضان.

يود التحرير أن يقدم اعتذاره وتقديره للدكتورة خيرية السقاف، والأستاذ عبدالرضا السجواني، اللذين سعدت **الراوي** بنشر قصة لكل منهما في العدد الثالث، لكن - بكل أسف - لم تتضمنهما محتويات العدد.

أخيراً، تؤكد جماعة **الراوي** دعوتها لكافة الإخوة والأخوات، آملة منهم التواصل معها، من أجل آرائهم، ونشر إبداعهم على مستوى أكبر، ذلك أن توزيع الراوي يتم عبر مساحة الوطن العربي، ومراكز أخرى خارجه. ونسأل الله دوماً العون والتوفيق.

جماعة الراوي

راوي العدد :

عبدالله خليفة *

ولد القاص والروائي عبدالله خليفة في مدينة المنامة في عام 1948م. تخرج في المعهد العالي للمعلمين في عام 1970. اشتغل في التدريس حتى عام 1975م. دخل فترة العزلة غير الاختيارية من سنة 1975م حتى نهاية عام 1980م. منذ مطلع الثمانينيات وحتى الآن يعمل في الصحافة البحرينية رأس أسرة الأدباء والكتاب، له من الإصدارات:

1 - لحن الشتاء - قصص قصيرة - دار الغد، 1975م.

2 - اللآليء - رواية - دار الفارابي، 1981م.

3 - الرمل والياسمين - قصص قصيرة - اتحاد الكتاب العرب، 1982م .

* أعد الملف القاص فريد رمضان.

4 - القرصان والمدينة - رواية - دار الفارابي، 1982م.

5 - الهيرات - رواية - دار الفارابي، 1983م.

6 - يوم قائظ - قصص قصيرة - دار الفارابي، 1984م.

7 - أغنية الماء والنار - رواية - اتحاد الكتاب العرب، 1989م.

8 - امرأة - رواية - اتحاد الكتاب العرب، 1991م.

9 - الضباب - رواية - دار الحوار، 1992م.

10 - سهرة - قصص قصيرة - المركز الثقافي العربي، 1994م.

11 - نشيد البحر - رواية - المركز الثقافي العربي، 1994م.

12 - دهشة الساحر - قصص قصيرة - دار الحوار، 1996م.

13 - الينابيع - رواية - اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، 1998م.

14 - جنون النخيل - قصص قصيرة - دار شرقيات، 1998م.

سيرة الكلمة والحياة*

في بيت من بيوت سعف النخيل رأيت العالم الخارجي لأول مرة. كنت أراه من خلال تلك الفتحات الصغيرة التي تسمح للهواء بالتسرب في الأسفل، والتي - لكي تصل إليها - لابد أن تنحني لكي ترى نبض الشارع. حيث قلة من العربات والمارة تسير ببطء. فذلك الحي من أحياء المنامة، كان كغيره حينذاك، يعيش في هدوء عميق، تلك السنوات الأولى من الخمسينات...

وقادني ذات يوم أحد الرجال الجيران إلى مبنى مهيب وناصع البياض، وقال لي: هذه هي مدرستك الآن! ولم أستطع أن أتعلم شيئاً في تلك المدرسة. كانت الصفوف مزدحة، والعراك وفيراً، والطبلة المشاغبون الأشقياء يترصدون لأي طفل خجول بالضرب الدائم المبرح أو بالسخرية. ثم يأتيك المعلمون القساة ويزرعون قلبك بالرعب. ولاأزال أذكر صفعة مدوية هزتني هزاً حصلت عليها لأني كنت غير منتبه إلى شرح مدرس الحساب...

---

* مختارات من نص طويل كتبه المؤلف حول تجربته الحياتية والأدبية.

ولا أنسى تلك اللحظات السعيدة عندما كافأني أبي على نجاحي بشراء سيرة عنترة بعد أن ألححت عليه. وقد كنت رأيت هذه السيرة تقرأ في دكان شعبي، ورأيت البطل الأسود وهو يجندل أعداءه بوفرة على شاشة سينما الأهلي التي كانت تدمن عرض بطولاته.

لقد اندفعت في قراءة الكتاب الضخم، بمعاركه وأشعاره.. مثل لي ذلك البطل أسطورة جميلة، دغدغت مشاعري وسكنت أحلامي...

في ذلك الصيف البعيد، أذكر جيداً الكتاب الذي وقع في يدي. إنه مؤلف كبير، يحوي مائة قصة غربية، وقد ترجمه والد يوسف السباعي: المؤلف المعروف.ولم تستثر ذهني من عشرات القصص إلا المجموعة الكبيرة المترجمة لواحد منها، وهو "انطوان تشيخوف".

سحرني الأدب الروسي الكلاسيكي، بعمالقته، دستويفسكي، مكسيك غوركي، ثم ديكنز في الأدب الإنجليزي.

هؤلاء الأربعة شغفوا قلبي. صاروا آباء لي، لعل مكانة دستويفسكي، ثم تولستوي فيما بعد، راحت تكبر وتتعملق في ذاتي...

كانت نهاية الستينات وبداية السبعينات مشحونة

بإنتاج قصصي وفكري وفير، عشرات القصص التي كتبت بأسماء مستعارة، وبالاسم الحقيقي في الصحف الوليدة حينذاك. وغلب على تلك القصص الطابع الاجتماعي النقدي، وأثارت قصص معينة الانتباه، وجعلت إحداها مادة لقراءة نقدية في إحدى أمسيات الأسرة...

مجموعتي القصصية الأولى "لحن الشتاء" سنة 75 قصص مكثفة ونقدية سريعة للعديد من الظاهرات والنماذج المحيطة بنا. من هامشية المواطن إلى استخدام "التراث" في تجميد تطور الإنسان. إنه أسلوب الاختزال والومضة لكن الذي يوحي بوجود تحليل اجتماعي - فني لم يكتمل...

جاءت مجموعد "الرمل والياسمين" - صدرت عام 82 - أكثر اعتناء باللغة والصورة مع الجنوح الخيالي الواسع أحياناً، كما أن فيها الاهتمام بالحدث والبنية القصصية الواضحة في جوانب أخرى. وفي كلا الجانبين هناك حفر في الواقع المعاصر، في الحياة المتخمة بالألم والأمل. وحتى الاستخدامات التراثية والفلكلورية كانت جزءاً من النقد المعاصر.

مثل هذه اللغة أتاحتها العزلة. ولكن العزلة قد تدفع بالإيغال في جوانب الأسلوب، وخصوصاً أن هذا الاندفاع جزء من محاولة القفز للتطور الشكلي.. بدون اكتمال

الخبرة.. وهذا ما تحقق في رواية "القرصان والمدينة" القصيرة ذات التداخلات بين الأزمنة والشخصيات.

انقضت سنوات العزلة ووجدت نفسي ثانية في دوامة الحياة. وكانت الحياة قد تغيرت كثيرا. ولم أكن أملك عملاً، فقد فصلت من زمن بعيد من التعليم. ولم أجد سوى ميدان الصحافة الصعب.

عملت في ميدان بعيد عن طموحاتي من أجل كسب العيش: كتابة التحقيقات والنزول إلى القرى والأحياء الفقيرة والتعرف على أصحاب المهن المتعبة. ولم أكن أملك سيارة، فكنت أعتمد على النقل العام والمشي وأكتب أحياناً في مجلات لا تقرأ أو صحف تلغي ما أكتبه. لكن الفترة النارية الجديدة جعلتني أتعرف من جديد على الناس. ولم أستطع أن أكتب بالطريقة التأملية البطيئة السابقة. فصارت القصص أكثر ارتباطاً بمجرى الحياة اليومي ومشكلاتها. ولهذا قل ذلك الجنوح الخيالي التحليقي، وصارت القصة جزءاً من الصراع الدائر في الحياة...

إذن هذه هي الكلمة، تتشكل عبر سنوات طويلة من العذاب والفرح والأمل، تسير ببطء، بصعوبة، تتعثر، تنمو شخصيات وأحداثاً وعوالم، تعبر عن روح شعب بقدر إيمان الكاتب به.

عبدالله خليفة

شهادات

" 1 "

الاهتمام بالمتغيرات الاجتماعية في البحرين:

يهتم عبدالله خليفة في أعماله كلها بالمتغيرات الاجتماعية في البحرين ويحيط معالجته الروائية والقصصية بخيال خصب مكنه من التعبير عن مشكلات جماعات واسعة من المغمورين. ولاسيما العمال والبحارة والمداومين والحرفيين الصغار.

يسترسل عبدالله خليفة في تأمل مجتمع ما قبل النفط. ويقارنه بالتطورات الحاصلة بعد اكتشاف النفط، ويربط ذلك كله بأزمة القيم الأصيلة في هذا المجتمع المتغير. وتنتمي رواية "اللآلىء" إلى توصيف معاناة البحارة الباحثين عن اللؤلؤ وخيبة البحث المرير عن لؤلؤة واحدة. والانسحاق تحت وطأة النهم البشري إلى الاستغلال والظلم. وتعد هذه الرواية أغنية للأمل الذي يغمر القلوب

الظامئة للحرية والحب وسط مرارة العيش وقسوة الظروف.

أما رواية عبدالله خليفة "القرصان والمدينة" فتتحدث عن حطام الرجال والنساء في لجة العمل السياسي في مرحلة التغير الاجتماعي، إذ يلتقي بعد غياب صديقان، الأول متزوج وصاحب أسرة. والثاني غاب في الأيام ومعترك النضالات مع العمال. ثم تصور الرواية أثناء السرد خيانة الثاني لقضية العمال؛ عندما يدبج المقالات ضد إضرابهم. وكأن الرواية استعارة لفعل الخيانة المدان أمام نصاعة الموقف النضالي للعمال؛ حين تكون النهاية هي وصية الاستمرار في الكفاح من أجل التغيير. وعلى العموم ينهج الروائي عبدالله خليفة في رواياته نهجاً تبسيطياً مغالياً في عرض مشكلات جماعاته المغمورة من العمال والبحارة والحرفيين. ويميل إلى التجريب في رؤية المرحلة التاريخية وحركة الواقع مما يؤثر أحياناً على وحدة التأثير واتساق الدلالة، غير أنه يعوض عن نزعة التجريب ونهج التبسيط بشاعرية لطيفة ولغة تعبيرية عذبة لصالح نبض إنساني دافىء لا يخفى على القارىء.

د. عبدالله أبو هيف

" 2 "

عبدالله خليفة يكتب نصاً واحداً

ربما كان "عبدالله خليفة" أحد أبرز الكتاب الذين أخلصوا – بشكل منقطع النظير – لذات الاستراتيجية التي بدأ بها منذ أن أصبحت الكتابة الإبداعية هاجساً أساسياً لا مناص منه. فقد وضع نصب ناظريه ما يحيط به، ما يعانيه، وما يشكل بؤرة اشتغال على غير صعيد من الأصعدة الحياتية. لم يكتف "خليفة" بالكشف، بالفضح، بل راح ينشد أغنية سردية تخلقت عبر كل الإرهاصات التي زج بها في كتبه، لنكتشف في نهاية المطاف صيرورة حكائية ممتدة وراسخة.

الرائي سيجد امتداداً وتواصلاً في كل المثبت في مجموعاته القصصية وأعماله الروائية، فمنذ "لحن الشتاء" التي صدرت في العقد السابع من هذا القرن، والكاتب لم يبرح المنطقة التي ارتضاها لنفسه منذ عمله الافتتاحي السابق. ولعين السبب فقد منحه هذا الأمر قدرة وكفاءة لافتة في الوصول للمخبوء والمستور والمحتجب. إن هذا الانتماء الغريب لحقل واحد من الحقول السردية مكن القاص والروائي من تشريح حقيقي ودقيق لكل مفصليات

الواقع الذي جبل عليه والذي شكله وتشكل منه. إن مزية نهج إبداعي كهذا يدل بصورة حتمية على إيغال متعمق في قراءة السطوح وصولاً لأكثر الطبقات غوراً، وهذا التوجه - بلا شك - بالرغم من التنويع الذي وفره اختلاف الجنس الأدبي (القصة / الرواية) وتغير المنظور وتطور التجربة من كتاب لآخر فإننا إزاء معادلة تفضي إلى القول بأن "خليفة" لم يكتب إلا نصاً واحداً.

وتفصيل ذلك، أن السؤال الإبداعي عند كاتبنا قد انشطر إلى مبدأين: المبدأ الأول ويتمثل في الوفاء للحمولة الفكرية الواقفة خلف الكتابة، والثاني ويتحقق في الطبيعة الفنية للرسالة التي يبثها رواة مجموع ما كتب. إن الالتحام الشديد وغياب الفواصل الجلية أفرزت تلك الإشكالية المزعجة، حيث ما انفك المبدأ الأول يحضر بصورته الفاقعة في الثاني على طول التجربة وامتدادها، مما فوت فرصة أكيدة للظفر بالنسبة لمجموع من كان متلقياً لهذه التجربة، بسبب امتلاك "خليفة" لأسلوبية قادرة على أن تكون ذات فرادة، ومقدرته اللافتة على الإمساك بزمام السرد وبالتفصيل في الوصف، وفي بناء نماذج من شخوص تتحلى بأبعاد مادية وروحية مختلفة، وذات بناء نفسي يتأسس على معرفة أكيدة بأنماط ونماذج شتى، وتبحر عميق في النفس البشرية.

بيــن إخـــلاص لـــلأرض وللبشـــر ولأحلامهـــم العريضة، وبين تكريس خطابي لا يخلو من تكرار، يكـون مشـروع عبدالله خليفة السردي. هـذه الثنائيــة المتجـذرة بتغلغل عميق تحد كثيراً من الفعل الإبداعي الحقيقـي. وإذا كـان الأدب مسؤولية، فحتمـا ولابـد أن تكـون المســؤولية الكبرى فنية. ولو حدثت زحزحة مـا فـي قـابل الأيـام عـن الرؤية ذاتها فستكون لنا مفازة حقيقيـة. فـي ظـل كـل تلـك الإمكانات والتجربة والخبرة السردية.

ومـع ذلـك لقـد مخـر "خليفــة" الأزقــة والحــواري والشوارع، عالج مأساة المدينــة الحديثـة، مسـح بقلمـه كمـاً هائلاً من الأنماط البشرية، ناقش وحاور مشـكلات إنسـانية ووجودية أصيلة، حلق وابتعد بأحلامه بعيداً، صوّر البهاء، وسلط الضوء على القحط والقفر. اليابسة والبحر فضـاءات قصصـه ورواياتـــه، والواقـــع والخيـــال ميـــادين اشــتغاله، والسـواد يغلـب البيـاض ويتفـوق عليــه، الفــراغ واليــأس موضوعات أثيرة، واتخاذ العزلـة ليسـت واردة. المواجهـة حتى ولو لم تخلف أثـراً فهـي المصـير القـدري، إننـا نقـف أمـام حـالات نعرفهـا، ربمـا نحـن مـن يقصدنـا الخطـاب. العنف السردي مزية ليست بحاجة لكبير تدليل.

عبدالله خليفـة يمثـل اتجاهـاً سـردياً متفـاعلاً أشـد

التفــاعل مــع مــا يــراه ويقــرأه. إنـــه شـــبيه بـــالمصور الفوتوغرافــي الـذي يعـد منجـزه بمثابــة الوثيقــة الدامغــة، المحلاة بشيء من فتنة السرد، ومن مراودة التخيل.

حسام توفيق أبو اصبع

" 3 "

الإنحياز إلى الشوارع الخلفية:

منذ عام 1975 عندما صدر كتابه الأول "لحن الشتاء"، أصدر خليفة بضع عشرة مجموعة قصصية ورواية. لعل من أميزها مجموعة "سهرة" القصصية التي صدرت محتوية على إحدى عشرة قصة قصيرة، يبدو فيها القاص منحازاً وبشكل نهائي إلى الشوارع الخلفية في تلك المدن الكبيرة التي نبتت فجأة بين رمال الصحارى العطشى مروية بما تدفق من نفط وفير.

الإنسان العادي المهمش المتعب المستغرب المندهش المكدود؛ هو بطل هذا القصص الأوحد، حيث يحاول القاص أن يلتقط له الصورة تلو الأخرى بعينه الكتابية الخبيرة، ومن مختلف الزوايا، فلا يجد في النهاية سوى الخيبة والألم حصاداً لرحلة شاقة من الدهشة والاستطلاع في هذا العالم الصاخب اللون الذي ظهر بين ظهرانينا ومن بين أيدينا ومن خلفنا فجأة، ولا ندري إن كان سيختفي، كما ظهر، فجأة أم لا.

وتمارس شخوص المجموعة جميعها حياتها داخل

إطـار واحـد مـن العبــث.. ممارســة العبـث تجـاه الفعـل اللامسؤول الذي يجدون أنفسهم أسراه فجأة.

هم يعيشون إذن في "سـهرة" طويلـة واحـدة وممتـدة على مدى زمني معـروف، وهـي سـهرة يختلـط فيهـا حـابل الأغراب القادمين من البعيد، نفسياً وجغرافيـاً، بنـابل النـاس البسطاء المهمشـين بـدون أن يسـتطيعوا الصـراخ فـي وجـه الجدد.

إنها "سهرة" تتكرر كل ليلة بتفاصيل مختلفة وجديـدة في كل مرة، ولكن تفاصيلها متوقعة وغير مرتبة تصاعديـاً، ربما لأنها تحدد ببساطة فـي إطـار مكـاني وزمـاني واضـح المعالم، حيث المكان دائماً هو الحي القديم، إذ يتفتح بدروبـه الضيقة الملتوية كالأيام والأنـام، أحجـاره تـآكلت وتسـاقطت قشرتها، وتحولت جدرانها ملاجيء للهوام... بيوت متراكمة فوق بعضها، تتشاجر ضلوعها وأبوابها، قميئــة، كالحشـائش الفطريـة الذابلـة، قماماتهـا حدائـق للذبـاب، ومسـام دروبهـــا تنزف هياكل وفئراناً وأشباحاً ومجـانين وغربانـاً.."، وحيـث مفردات الزمان والمكان تستعير أسماءها من الليـل والسـهر والسـجون والفنـــادق الكبـيرة وفصـــول المدرســة والأزقــة الضيقة.

سعدية مفرح

" 4 "

الطبيعة والإنسان وأشياؤهما:

يرصد القاص والروائي البحريني عبدالله خليفة، من مجموعته القصصية الأخيرة، "دهشة الساحر" التغير الذي عرفه المجتمع البحريني، والعربي بعامة، في الدقيقة الأخيرة التي طغى فيها المال المحصّل بسهولة وسرعة، وحكم نظام العلاقات المجتمعية، ويتبين، في معظم القصص، ظاهرة تمثل أبرز معالم هذا التغيّر، تتمثل في تقلص مساحات الجمال واختفائها وتمدد مساحات القبح وطغيانها في الطبيعة والإنسان وأشيائهما.

يتحول العالم: الطبيعة والإنسان وأشياؤهما وقضاياهما في عصر المال الزاحف، مثل جراد سحري، وترصد القصص هذا التحول فيبدو لها شبيهاً بالمسخ، بقحل الأرض، يسكن ظمأ الثرى فيفر مذعوراً باحثاً عن ارتواء يتطلب مزيداً من الأضاحي، ويسكن ظمأ آخر الناس الآخرين، فيهيمون في الأرض المسنونة كالحراب، في مدينة العمارات / الأرض القاحلة، الصحراء، ولا يرتوون، فيبدو العالم صحراء جديدة كما في قصة

"الصحراء"، هجرتها الواحات والنخيل، أو أرض الظمأ العصي على الارتواء.

ترصد القصص هذا التحول، وتجسده في نصوص سردية قصيرة على مستوى حجم الشريط اللغوي، طويلة على مستويي الأحداث وفضائها الزمني والمكاني. وهذا يثير أشكال النوع القصصي، فإن تكن القصة القصيرة تعني اختيار اللحظة المهمة من الزمن، أو الشخصية، وتكثيفها، لتنطق بدلالة كلية، فإن المؤلف، لم يفعل ذلك سوى في قصة واحدة هي "دهشة الساحر" التي تحمل المجموعة اسمها، فمعظم القصص تكاد تكون ملخصات روايات أو قصص طويلة يمتد الزمن في بعضها حوالي ثلاثين سنة أو يزيد، أو في قصص "طريق النبع"، "الأصنام"، "الأميرة والصعلوك" و"نجمة الصباح". غير أن المؤلف يعمد في القصتين الأوليين إلى اختيار لحظتين من هذا الزمن الطويل ويقدمهما ليرى القارىء التحول ويتبين طبيعته، ويقدم ما جرى من أحداث في الزمن الممتد بين اللحظتين ملخصاً، فكأن السرد بذلك خطياً يمضي مع الزمن الموضوعي/ الطبيعي في مساره.

د. عبدالمجيد زراقط

الأضواء*

تمازج الضوء الساطع بأنفاس البحر الرطبة فاشتعل قدر المياه اللامحدود، وبدا كأن بحراً ثانياً، محترقاً، يطفو فوق المياه المشتعلة. ولم تظهر أي أرض، أو طير، أو شجر، وبدا لهما أن السماء ذاتها اشتعلت وتساقطت حمماً، وأن الريح التي كانت تنفخ في الشراع الواهن غدت رماحاً تتغرز في البدن.

التصقا معاً، كعصفورين انتزعا من عشهما، ووضعا في قفص، للبيع في سوق مليء بجمهور مسعور، أو كأنهما نبتتان صحراويتان في أصيص زجاجي بارد. حدقا في بعضهما البعض، وتطلعا إلى الخلف، حيث الساحل الآخر، البعيد.

هناك قريتهما، متوارية وراء الجبال والهضاب،

* من مجموعة عبدالله خليفة القصصية "سهرة" 1994م.

تتوهج الآن تحت شمس هادئة، والحمير تتوغل في الأرض المحروثة، وأهلهما وراءها، أو جاثمون تحت الأشجار، أيفكرون فيهما؟

هجرا القرية، وسارا إلى المدينة، دفعا مبلغاً كبيراً حتى يصلا إلى الميناء. وقضيا ثلاثة أيام يبحثان عن مركب تنقلهما دون جدوى. كان بعض معارفهما يختبئون في قعر السفن مع الغنم، حيث سيتسللون في الليل إلى المدن النائمة. لكنهما لم يحصلا على موطىء قدم بين الحوافر.

ثم قادهما رجل ما إلى ربان هذه السفينة الصغيرة، الذي بدا كريماً وهو يحدد المبلغ المطلوب، وصاح "هذه مهمتي! كم مرة نقلت شباناً أقوياء إلى مدن النفط. بعضهم حاز ثروة كبيرة الآن" وحكى لهما قصصاً عن أولئك الشجعان.

لم يستطيعا أن يحصلا على مكان لجسديهما بين أكداس البضائع والحبال، وجدا مساحة صغيرة التصقا فيها ونضحا عرقاً ولهبا.

كانا متلاصقين، أيضاً، تحت شجرة في ذلك الحقل البعيد. حسن الطويل، النحيف، هو الذي كان يجر مرتضى، القصير، الهادىء، إلى المغامرة. يصيح فيه

"أتعجبك العيشة هنا مع الماعز والعجائز حيث لا ثلاجة ولا سينما...! هيا احلم بالمدن الذهبية، مدن النفط، حيث الثروة... والمتع! هيا قم من رقدتك في الروث!".

وخلال شهور راح مرتضى يستمع، في الليالي المقمرة، فوق السطح، إلى جعجعة حسن، وكأنه يرى الإسطوانات وهي تدور في المقاهي، ورزم المال تملأ الجيوب، وهو يعود إلى قريته بسيارة جيب متجهاً إلى بستانه الذي اشتراه.

وكل عائد كانا يسألانه، ويتبعانه إلى منزله، ويريان، من فوق الحائط، الأشياء الغريبة التي حملها.

راحت السفينة الصغيرة تتباطأ في سيرها، حتى هدأ المحرك تماماً. التفت الربان إلى الشابين المحدقين في سراب المياه. وقال: "هيا انزلا! خوضا البحر، إنه ضحل هنا، وتمنياتي لكما بالتوفيق".

لكن حسن، التفت هنا وهناك، وصاح به غاضباً "أين المدينة؟ وشاطئها؟ إنني لا أرى بيوتاً؟".

ابتسم الربان وقال: "هل تريد أن تصطاد في الدوريات أيها الصغير؟ إنني أنزلكما في أقرب نقطة إلى الشاطىء. أترون تلك الجزيرة الصغيرة هناك؟".

بحث الشابان، بعيونهما المتعبة عن الجزيرة، فوجدا مجموعة من الصخور والتراب بين المياه، وعادا ببصريهما إليه مستغربين.

أكمل "هذه الجزيرة لا تبعد كثيراً عن الساحل. في الليل امضيا نحو الأضواء، سترونها خافتة لكن لا تشعرا بالخوف. المياه ستكون ضحلة والجزر سيتسع. سيرا بهدوء وحذر، ستصلان المدينة. وستنعمان بالعمل والثروة. وإذا احتجتما إلى أي مساعدة تعرفان اسم المقهى الذي أتواجد فيه. مع السلامة!".

نزلا. التحما بالصخور المشوهة المشقوقة بأسياف المياه. تطلعا إلى الأرض البعيدة، رأيا خطوطاً بيضاء وخضراء. أخرجا الخبز والبصل وأكلا بشهية. ثمة مساحة من الرمل يستطيعان أن يتمددا فوقها ويغتسلا بالماء. لم تبق سوى ساعات، ويلتحقان بالظلمة، ويتوحدان بالمدينة.

لكن حسن لم يهدأ، وغمغم فوق رأس مرتضى: "أليس من الأفضل أن نتسلل الآن. يبدو الجزر واسعاً؟". لكن الآخر استلبته غفوة، وحلم أنه يخطو في الأزقة، بين الشوارع الواسعة، المليئة بالدكاكين والمقاهي ورجل يطارده، وينتزع كل ما في جيوبه من رزم. تمعن في وجهه فإذا هو الربان البدوي. يقهقه ويستل خنجراً من

جرابه ويطعنه. فزع وتألم ورأى الكون يحترق كتنور، والطيور تحوم مشتعلة، ثم أبصر نفسه يسبح في مياه عميقة، ورأى حسن طافياً كجذع شجرة. صحا، فإذا بركة من العرق حوله، ووهج شمس الظهيرة خف قليلاً، ولكن المساء لم ينزل بعد، وأزعجته أصوات المياه، التفت فإذا هي قادمة نحوهما ولا تتراجع كما زعم الربان!.

تطلع إلى حسن فوجده مستغرقا في إغفاءة عميقة، بين الصخور.. هزه قليلاً وصاح: "جاء المد يا حسن، جاء المد؟!".. وكان حسن قد حلم هو الآخر، بأنه يطير، يصير طائراً، ويعبر السماء الزرقاء وفوق عينيه نظارة ذهبية. ثم انتبه، وحدق في المياه القادمة نحوهما. نهض. غضب. قفز من فوق الصخرة، وركض في الدائرة الصغيرة، متطلعاً في المياه المستفزة. وركض نحو صخرة أخرى وصعدها، وتطلع إلى الآفاق، وصاح بقوة "خدعنا!". واندفع حانقاً "ألم أقل لك إننا يجب أن نعبر في وقت الجزر؟ علينا الآن أن ننتظر حتى اليوم التالي.. في ظل هذه المياه المتلاطمة!". وتطلع مرة أخرى، صوب الشاطىء، والمدينة المتوارية، وقال "ثمة مياه غريبة وكبيرة تندفع من هناك أيضاً".

لم تكن سوى ساعة حتى ضاقت الدائرة، المياه

الرقراقة المزعجة تدق الجزيرة المتضائلة، وأصابعها الشيطانية تأكل القواقع والرمل والحجر. تقدم لهما أعشاباً وجذوراً ميتة. وهما يرتفعان ويصعدان للصخور.

تأملا: لم يكن ثمة سوى الماء سيداً، ملكاً، يفرض سطوته في كل مكان. ناعماً، خافتاً، متلألئاً، مغنياً، يوغل في الشقوق البعيدة، ويصفر بين الصخور.

أمسك مرتضى صدر حسن، بيديه الاثنتين، وبكى. صاح به الآخر "كف، كف عن هذا البكاء، سنتمكن غداً من خوض هذه المياه الكريهة، والوصول إلى الشاطىء، سترى، وسنغني معاً ونشرب ونجمع النقود..".

لم يكمل، لأن الماء، وقد سمع ألفاظ والتحدي، قرر أن يصعد نحو الصخور. وأمسك حسن الصخرة المشوهة من غمر المياه فذعر، حدّسٍ مرتضى وهدأ عن البكاء. طالع حسن الأشياء، عساه يجد أخشاباً، ولم يكن ثمة سوى قطع بيضاء صغيرة طافية لم يعرف ما هي.

قال: "لن تصل المياه إلى هنا وإذا وصلت.. فهو ذراع، أو أكثر قليلاً. وسنظل نتشبث بالصخور إلى أن يتراجع المد. سنحيا، سنصل إلى الشاطىء".

هبط المساء، كحشد من العباءات، وبدت الأغصان

الجافة من الضوء القاني كآخر الأشجار. وعما قريب سينطفىء الحقل.

فحيح البحر امتزج بالبخار الساخن اللافح وهواء الأبر ولزوجة الصخور الهاربة من الأقدام.

وها هي أصابع المياه تلحس أقدامهما، وتحسس مذاق جسديهما، وكأن جيشاً من النمل يندفع في شرايين عود قصب.

من بعيد، بدت أضواء خافتة مثل مصابيح فقراء في أكواخ قصية، أو نجوم متكسرة في ليلة غيم وضباب، وهذا هو الماء يتذوق صدريهما، ويبقبق حولهما قدراً يطبخ أحياء لمائدة مجهولة. وفجأة تأوه مرتضى واختفى، صاح حسن طويلاً ونادى، لكن الماء وحده، كان يثرثر مع ذاته، ولم يكن ثمة صدى، وبدا له أن قريته قريبة، وها هي أشجارها تلمع تحت الشمس الدافئة، والحمير تتوغل في التربة السمراء المتشققة، وكأن أحداً يمد له يده، والأضواء البعيدة تفتح جسراً، مد أصابعه، مد ذراعه، وأمسك الهواء. وسقط في المياه الغامرة.

الصحراء*

كان الدخان وأغسطس والانفجارات والصرخات وراءهم. خيوط من الغبار والسواد والدم مثل نافورة ملونة ملوثة في السماء. حفل ألعاب أقامه الشيطان في المدينة، والمدعوون يهربون، حاملين سيقانهم المقطوعة وحقائبهم وذهبهم.

تطلعوا إلى الوراء، تقاربت رؤوسهم الأربع، لكن السائق كان يحدق في زجاجه الأمامي، ويزيح الدم والغبار.

قال الأول: نفذنا بجلدنا.

قال الثاني: تباً.. كدت أقع في أيديهم ثانية!

صاح الثالث: ضاعت حياتي!

همس الرابع: لم أحصل على أجري بعد!

* من مجموعته القصصية "دهشة الساحر" 1997م.

قال السائق:

- اطمئنوا كل شيء سيكون طيباً، سنصل، أنا وعدت أهل قريتي باللقاء القريب.

"البيك آب" محمل في خلفيته المهتزة النائحة، بألواح خشبية وحبال وبقايا حقائب أربع متعددة الشخصيات والوجوه، والألواح والنورة والحبال والأصباغ، جزء من ملامح دهان مختنق.

راح البيك آب يبحث في الرمال الشاسعة والدروب القليلة والقيظ المحتشد في السماء وبين الأسربة والأتربة وتلال الذهب السرابية والأعشاب المحترقة وآثار الشاحنات العسكرية والجماجم، عن طريق وواحة وصوت مذياع أو نشيد راع.

جاء الليل فجأة واشتعلت السماء بأضواء المطاردات وسيوف الكشافات، وغفى البيك آب على تلة كجمل عجوز أضناه الجوع والحب.

تقاربت الرؤوس ومضغوا خبزاً يابساً، ولم يجدوا مفكاً لعلبة الجبنة فاستخدموا نابض سيارة وحطموا الوجه الأصفر الصلب، فتداخلت أصابعهم وأسنان الوجه الجارح.

نزع السائق كوفيته، فظهر شعره الكث المتهدل، وعيناه الجمرتان وأذنه الوحيدة. قال:

- ابن الكلب قلت له دعنـي فرفض. أقام حاجزه في منطقة غريبة، فاندفعت في الرمال وهو يطلق زخات رشاشه على السيارة.. ألا يعرف أنني متوجه لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.. أربع سنوات وأنا أقول لهم ذلك، ولم يصدقوا! حين سمعوا نشرة الأخبار عرفوا من أنا.. هل نمتم؟

قال الأول: أنا فلاح تركت أرضي وجئت هنا.. الآن ليس لدي سوى حقيبة.

قال الثاني: تركت الجريدة وهي تحترق.. من كان يصدق؟

صاح الثالث: دخلت وخرجت كالثعلب!

قال الرابع: خمس سنوات من العمل والآن سأعود لأرضي البور التي تركتها!

طلعت الشمس وتتحنحت البيك آب تقيأت دخاناً وصراخاً وتأوهت وهي تسير في مفازة كبرى، معالمها الرمال المتشابهة البيضاء الناعمة التي تسير كالماء وترسم التلال والماعز والأمواج والحمير.

ينفذ الهواء من النوافذ الصدئة كأنفاس تنور، ويحاول الثاني رفع زجاج النوافذ فلا يستطيع، فيصيح: أهذه سيارة أجرة أم ماذا؟

التفت إليهم السائق وقال:

- قلت لهم إنني أستطيع قيادة الأمة، فلدي برنـامج بسيط وقوي. جربوني لمدة خمس سـنوات لـترون أفعـالي! لماذا تعارضونني وتسخرون مني وأنا لم أفعـل شـيئاً حتـى الآن. ذات ليلة حلمت بشخص ما، ذي لحيـة كثيفـة، أظنـه ابن خلدون أو أبـا ذر، لا أعـرف تمامـاً، همـس فـي أذنـي ستكون رمز هذه الأمـة! وحيـن رويـت لأهـل قريتـي هـذه الرؤيـا لـم تنقطـع الأطبـاق والهدايـا عـن بيتـي. ولكننـي رفضت كل ذلك وقلـت: أيهـا الأصدقـاء أنـا رجـل عملـي، ولـدي برنـامج لإنقـاذ الأمـة وليس شـطحات وهلوسـات.. دعوني أجلـس علـى هـذا الكرسـي الرفيـع الجليـل وتـرون بدائع أعمالي!

تطلع الركاب إلى بعضهم البعض، وتاهت عيونـهم في المفازات الغريبـة، والتـلال الكثيفـة المقطوعـة الوجـوه والألسنة، وفارت ينـابيع المـاء الوهميـة، ونـاحت الأشـباح وبدأ الرمل يغلي.

صاح الثاني: هل أنت سـائق يـا رجـل.. إلـى أيـن تأخذنا؟

ذعر الثالث: ليس هذا هو الطريق.. إنها صحـراء الموت، هذا الرجل..

قال الأول: انتظر أريد أن أُصلي، أنا رجل مؤمن!

قال السائق:

- كفوا عن النحيب! واخرجوا من السيارة وادفعوها. لقد غاصت في الرمال!

شويت أرجلهم، وحومت النسور الجائعة فوق رؤوسهم، وجاء فحيح الصحارى الظامئة للدم البشري، وبقبقت قدور الرمال وأطلقت بخارها المشتعل، وتداخل النحيب بالدموع والأصوات:

- ارحمنا يارب!

- أتعتقدون أنه مجنون؟

- قد يهرب منا الآن ويتركنا في الرمال!

- كيف لا يكون مجنوناً يا أحمق!

لكن السيارة قعقعت وسارت، وتدافعوا على أبوابها وأرجلهم تنزف وتزحف بين الحديد والتراب، وحَنّوا إلى قطرة ماء لكن السائق سحب زجاجة المياه، وقال:

- انتظروا فالدرب طويل ورهيب، مثل كل دروب حيواتنا.. حين جئت إلى المستشفى كان في حالة فوضى مطلقة. الأطباء يدهسون المرضى، والموتى يحكمون

النهار، والأسلاف يأكلون طعام الجوعى، وتغير كل هذا في سنة، نظمت كل شيء كشرطي مرور الكتروني.. حتى جاءت الحرب!

كنا نلعب ونغني حين انفتح أمامنا فجأة. انتفضت دماء الزقاق على الحيطان، وانفتحت الدروب المشوهة للموت والحرية. صعب أن تعاني الفوضى.. صعب أن ترى كل شيء محطماً بفعل الهوس.

لكن السيارة لم تسمع كلمات السائق دخلت في مستنقع ترابي عميق وراحت العجلات تتأوه وتئن.

نزل الركاب بصخب. اندفع الرابع وراء الرمال والتلال وسمعوا هتافاته المذعورة، اختفى وراء حشد من التماثيل الترابية العالية. تناول السائق مفتاح السيارة ونزل:

- تعال أيها المجنون!

قال الثالث: دعه يذهب!

قال الثاني: هل يريد أن يموت؟

صرخ السائق:

- أنتم.. حمقى!

اندفع وراء الرجل، ووجده ساقطاً مبعثر الظلال أسفل تل عميق. نزل وحمله فوق جذعه العملاق وراح يتحسس تضاريس الرمال والأوجاع.

أعطاه جرعة ماء ثم هز ضلوع السيارة الخلفية، وملس أصابع صباغ عجوز متناثرة في حديدها الشائخ. استجابت لحنانه القاسي وصهلت؟

تقاربت رؤوس الركاب وسألوه معاً: من أين أنت؟

– لا أعرف تماماً. ضعفت ذاكرتي وشحب بصري. لكن أظنني عشت في قرية جبلية ما، لعلها في المشرق أو ربما في المغرب.. رأيت نهراً يتلوى ألماً. وكانت ثمة جبال تغني في الصباح وتحصد في المساء. أذكر أن القرويين كلهم أحبوني، وقالوا انشر كلمتك في الوطن كله.. آه.. في البلد الأول استبدلوا وجهي. وفي البلد الثالث وضعوا مكواة على قلبي، وفي البلد العاشر قطعوا أذني، وفي البلد.. نزعوا رجولتي. وغصت في وحل وفقدت سمعي وذاكرتي، ولم أعد أعرف قراءة اللافتات، ونسيت اسمي ولغتي الأولى..

نزل الليل ثم حل النهار، تبخر الماء من العظام، وصار الجلد أخاديد من الحفر كأنها الوديان المحروقة في الأوراس، وغابات العباءات في الخليج، والبردى الملوث، واصطكت الأسنان برداً وجوعاً وحمى، وامتلأت الوجوه بدوائر منتفخة، وبدأت هلوسات الصحارى ترسم الآبار.

تاهت البيك آب في جبال سوداء كالحة شريرة،

ذات صرخات غامضة وأنين فاجع وأشباح مخيفة وأقمار محطمة، ولم تقدم الأرض سوى النار والرمضاء.

صاح الثالث: ليس هذا هو الطريق، أنت رجل مجنون تقودنا إلى الموت!

انتفض الأول: أمسكوه واربطوه.. هذا الوحش الأبله!

صرخ الرابع. قد يقودنا إلى هاوية فجأة!

تعاركوا، ضربوه من الخلف، أمسكوا شعره، واجههم بساعد فولاذي تدرب في الجبال ومستشفيات الجنون ومطابق التاريخ السفلي.

تاهت السيارة بين الخطوط، ترنح وجهها على أصنام عتيقة، تحطم أحد مصابيحها من نصب تذكاري في القفار، لكنه تمكن من الوصول إلى درب به رائحة قار.

قادهم الدرب البخيل المتعرج إلى طريق عريضة، فصرخوا فرحاً وتعانقوا، وفتحوا جيوبهم المليئة بالبصل والدولارات والساعات..

عندما توقفوا في أول نقطة عسكرية اندفع الركاب الأربعة إلى الضابط. بعدها اندفعت ثلة مدججة بالسلاح والقنابل إلى السائق الذي راح يقطر في فمه بقايا زجاجة المياه.

الكلاب*

اتجه نحو النافذة. كانت الستارة رمادية اللون. عندما تحجر في مقعده جاءه الآخر وهو يصر بأسنانه. قال بحنق:

– ماذا تريد؟

– لم أعد أستطيع الاستمرار في النزاع.

ابتسم الآخر:

– هذا ليس بنزاع. إنه نقاش وجدل. دع عنك الإخوانيات.

– أنا أتعذب فعلاً يا صقر، أرسم كما تريد أن ترسم، أرسم الناس، ضد الناس، بشكل واقعي، بشكل تجريدي، أنا لا أهتم. كنت دائم التفكير في مشاحناتنا الصغيرة، وما تقومون به ضدي من ألاعيب. أنا لا أحتمل

* من مجموعته لحن الشتاء (1975)

هجومكم. ولا أستطيع أن أعيش على النزاع. لنكن أصدقاء، أخوان، هه؟

جلس صقر بارتياح. أمسك التليفون. واتصل بشخص ما.

- سوف يحضر حالاً.

- من دعوت، عمر؟

- نعم، لتكن الجلسة ثلاثية.

- ولكن لماذا، لماذا؟؟

- هو عدوك أيضاً، كما تحسب.

- نعم، هو كذلك، ولكن هل هي مؤامرة أخرى.

- دائماً تحلم بالمؤامرات، أنت واهم. نحن نريد تطويرك. أنت لازلت ترسم للرعاع، بدون فن حقيقي. يجب أن ترتفع إلى أعلى، ألعب بفرشاتك، دع ألوانك تصرخ وتهتاج، لا تطلب من الآخرين استحساناً، اطلب منهم قلقاً، اصفعهم، أسل الدم من وجوههم، هذا هو الفن، الفن ضد الجماهير، لا معها.

- سمعت هذه... ولا أريد الاقتناع بها.

جاء عمر. سلم ببرود. جلس محدقاً في الستارة الرمادية.

- ماذا حدث. هل بدأ الصلح؟

- نعم، ها هو صديقنا يريد صلحاً، وكأن بيننا خصومة شخصية.

- نعم، هي خصومة شخصية. إنكما تحقدان عليّ، إن لوحاتي استقطبت جمهوراً كبيراً. وعشقها الكثيرون، لا لبدائية أسلوبها، بل لعمق أفكارها. وأنتما للأسف لا تعرفان فن الرسم. إن الحقد الذي تكنانه لي يدفعكما للجري ورائي كما لو كنتما ثورين وحشيين. أنا أرفض الاقتناع بأفكاركما، لكنني أريد صلحاً، يضع المسألة في إطارها الموضوعي. بعيداً عن الحملات الشخصية.

تحدث عمر وهو ينفث دخانه بصرامة:

- أنت لازلت دون رؤية عميقة. إن طريقتك في التعبير طريقة غوغائية، أنت تعتقد أن أصحاب الدكاكين وعمال الزبالة يستحقون فناً. إن اعتقادك هذا يأتي لمنفعة مادية بحتة، أنت بائع لوحات ولست فناناً.

اختنقتَ من الدخان. أزحت الستارة. فتحتَ النافذة. كان الشارع هادئاً. كلب مذعور يبحث عن مأوى.

- قل ما تريد يا عمر، لكن يجب أن تعرف أني أرسم من أجل هؤلاء الناس الذين تحتقرونهم. أنا أحب هذا الشعب البسيط.. وعلى كل لم أحضر من أجل تعميق

النزاع الشخصي، جئت من أجل الصلح الأخوي، لا المهادنة الفكرية.

قال صقر محتداً:

- أي صلح وأي بطيخ! أنت بعملك تقف ضدنا، نحن نريد إزاحتك، أنت تجهل الفن، وبأعمالك ستبعد الناس عنا.

وواصل عمر:

- أعمالك رديئة ومع هذا فالجمهور معك. غيِّر طريقتك ونقوم حينئذ بتقاسم الجمهور.

وأضاف عمر:

- دع الصبيانيات جانباً، وارسم كما نرسم، إن ذلك أسرع وأبسط.

تطلع إلى الشارع. الكلب المذعور محاطٌ بكلاب عديدة. يحاول الفرار لكنها تحكم الحصار.

- وإذا لم أفعل...؟

- سوف نزيد الحرب ضدك، أنت إنسان طيب فعلاً، ولا تعرف أساليب هذه المناورات. ونحن في جعبتنا الكثير من السهام لم نطلقها بعد.

- مثلاً؟

- مثلاً في المعرض القادم للفنون سنمنعك من الاشتراك.

كانت ضربة قوية.

- تمنعاني، أنتما؟

أجاب صقر:

- نعم، نحن نضمن ثلثي لجنة القبول.

ضحك عمر ساخراً.

تناولتَ سيجارة. رحتَ تتمتم.

- هذا مستحيل. مستحيل، لن تبلغ بكما النذالة هذه الدرجة.

- وما الذي يمنعنا. أنت بأسلوبك تقف عقبة كأداء أمامنا. إما أن تقف معنا وإلا حطمناك تحطيماً. الشارع. كانت المعركة ضارية بين الكلاب. كان الكلب الوحيد يقاوم. الصبية يتجمعون. الصياح والنباح يتعاليان.

- ولدينا سهم آخر، لدي في جيبي بحث يتناول بالتحليل لوحاتك، هو بحث علمي دقيق صارم لا يدع من بناء فنك الشامخ حجراً على حجر.

- ولكن لم كل هذه القسوة يا صقر؟

– هي الحياة. إما أن تكون صغيراً بين الكبار أو كبيراً بين الصغار، كما يقول أحد المؤلفين. كان الكلب المذعور يقاوم. تصبب دمه على الرصيف. لم يسقط. هل المسألة مسألة وقت؟

دخن سيجارة. وتأمل الكتاب الذي أحضره صقر.

– اقرأ هذا الكتاب، وتطلع إلى هذه الرسومات، وأنت تستطيع أن ترسم لوحة كل شهر. ها هم المزيفون. لن تستطيع التعامل معهم هكذا. جئت للحوار فانظر أي درك يريدان إلقاءك فيه.

قذف الكتاب بعيداً. تطلعا إليه باستغراب.

– إذن هذا هو فنكما أيها الحقيران. مجرد سطو بلا معاناة ولا تجربة.

ابتسم عمر:

– حتى السطو يحتاج إلى معاناة وتجربة.

– لا. لن أسير على هذه الطريق. إفعلا ما يحلو لكما.

لكن لن تستطيعا القضاء عليّ. لن. لن؟

– هذه العنتريات لن تفيدك شيئاً. أتحسب أنك أخفتنا بهذا الضجيج المفاجىء؟

- بالطبع. اللص يخاف من الحقيقة.

بصق وخرج.

تلقّاه هواء شتائي رائع. أراد أن يمضي لكنه سمع نباح الكلاب يتصاعد خلفه. سار إلى المعركة. كان الكلب المذعور قد انقلب إلى كرة حمراء عنيفة. أبعد الكلاب عنه. انطلق بجرأة في الشارع. تطلع إلى النافذة. كانت الستارة الرمادية تحجب فضاء الغرفة.

* * *

جبير المليحان

من مواليد 1951 (السعودية)
مجموعته الأولى (الوجه الذي من ماء) تحت الطبع

قصص قصيرة جداً

نجمة

في ليل بهيم، افترشا بساطهما خلف السيارة، على شاطيء بحر الدمام. تقابلا.. مدّ يده ضاغطاً كفها الوديع: طارت عيناها في السماء حمامتين، بعيداً حيث تتلألأ نجمة بهية زرقاء عنيدة. أشار إلى النجمة وقال:

– .. مثل قلبي!

تدارك، وهي تخفض بصرها:

– .. أنت نجمة.. نجمتي!

مرحا طويلاً بعينيهما ويديهما، على الشاطىء، مدّ قدميه ليرتاح، ومدّت قدميها.. وخلعت الحذاء.. حدّق في الحذاء: كانت تستقر في طرف لسانه الداخلي نجمة سداسية بلون الذهب. أسود وجهه كالليل، رفع رأسه وصرخ في وجه الليل:

- من أين هذا؟

- من السوق من.. هنا!!

وأشارت حيث تهجع الدمام.

- ولكن..

لم يستطع أن يكمل: وضع بساطه في السيارة، وعاد صارخاً: - وبكل قوته - رمى الحذاء إلى أقصى البحر ناحية الضفة الأخرى!

عادا إلى بيتهما بصمت، والدموع تتساقط في حجر المرأة كحمام ميت!

غيمة الأصدقاء

عبدالله جالس على امتداد البحر: وحياة صديقه أمامه كهذا المدى:

أعوامه مصفوفة، رآها، كقدور ملئت بالأحلام..

الأحلام تتبخر، ولا يبقى منها غير أحزان مالحة ويابسة في القيعان..

(يجلس مع صديقه لابساً صمته، وصديقه يفرش أمامه أحاديثه اليومية التي لا تنتهي عن البيت الذي سيبنيه من الصندوق*، على قطعة الأرض التي سوف يحصل عليها من البلدية).

ينام صديقه الآن، وادعاً في قبره، تاركاً أحاديثه تتردد:

- الدنيا واسعة!

يقول عبدالله. وصديقه يقول:

- أوه.. ما أضيق البحر!

عبدالله يجلس، يستمع الآن، إلى بكاء المدى، ويرى حياة صديقه: سمكة صغيرة ضاحكة، تتقافز، ثم تذوب مع أحلامه في الحياه المالحة. يقوم عبدالله شاداً قبضته على ما له من أحلام صغيرة (حتى لا تفرّ، أو تتفتت، وتذوب في البحر...)، يركض إلى الشارع، فيرى: وجوهاً كثيرة (كوجه صديقه) حاملة فوق رؤوسها قدوراً

* صندوق التنمية العقاري السعودي .

تعلو منها أبخرة الأحلام فتختلط مكونة غيمة بيضاء ترتفع إلى الأفق.. وفي مراعيها يتلاعب وجه صديقه ناظراً إليه ملوحاً بضحكة مرّة، وبيده قطعة ورق رسم عليها بيته الذي سيبنيه!

ثلاثة

مشى فينا القطار: تتراكض الأيام من النافذة. قهقهة طفلي الجالس خلفي فرحاً بركض الأشجار، التفتُّ إليه: فإذا هو أبي يملأ كرسيّه بالبكاء.

أمْنٌ!

عبدالله: بعد أن أتمّ تركيب الباب الضخم لبيته، ووضع النوافذ الضيقة في أماكنها، وحماها بشبك الحرامي القوي... تنفس عميقاً، ثم شرع ببناء البيت..........!

عبدالله!!

مشكلة بسيطة!!

خلت المدينة من الماء: المدينة كلها بلا ماء، الناس إلى الشوارع خرجوا، عطشوا كلهم.. جلسوا ينظرون إلى الغيوم المسرعة تمر من فوق مدينتهم. المدن الأخرى بعيدة، أهلها أحاطوها بالجند والأسلاك. قال

البعض.. لو يحفرون الأرض.. يا له من تعب.. جلس الرجال في الشوارع يتصبّبون عرقاً من حرارة الشمس.. والأطفال يتصايحون.. برك العرق تتجمع.. وتكبر.. بحيرات ترفدها دموع النساء التي تسيل من تحت الأبواب.....

ماءٌ كثير تجمّع، والناس أخذوا يشربون!!

طيور وأسماك

عدنا من البحر، بعد يوم طويل.. لم نصطد سمكة. وأنا أقترب من البيت فرّ الكثير من النوارس من فوق برميل القمامة، بجانب الباب، رفرفت قريباً، وأنا أنظر إليها، ثم بدأت تحط حول براميل الجيران.. والجيران.. والجيران.

رثاء

منذ زمن سحيق:

وأنا اراه من نافذة مكتبي: أراه كل يوم جالساً على الرصيف، وفي يده مسبحة الزمن، والنخلة تظلله، ودوامات الضجيج: (الشارع المباح.. الناس المتقاطعين.. السيارات الجهمة.. القطط الطويلة.. الأشجار الباكية..

ضوء الشمس الساخط.. السماء..) من حوله تدور، وهو لم يأبـه... وعندما يـؤذن الظـهـر يقـوم، ويمشـي ، منحـدر الظـهر، إلى المسجد.

أمس:

مشى وحبات المسبحة تتساقط من خلفه!

وقبيل أذان ظـهر اليوم:

أمسكت مسـبحتي، وتوجهـت إلــى الرصيـف، وجلست تحت ظل النخلة، وسط الدوامات!

* * *

وجـــــــــدي
الأهــــــــدل

من مواليد 1970 (اليمن) روائي ومسرحي، صدرت له ثلاث مجموعات قصصية: زهرة العابر (1998)، صورة البطال، رطانة الزمن المقماق (1998).

أن تعود راجلا..

منذ أن بدأ زغب شاربي في الطول بدأت أعتاد العودة لمنزلي راجلاً، برغم طول المسافة وتباعد الأماكن (مع الوقت) الذي ينبغي لمثلي أن يذهب إليها.

أن تعود راجلاً يعني الاحتجاج الصامت ضد راكبي السيارات ونحوها.

لست وحدي من يحتج بهذه الطريقة.. فمرة كانت إحدى جاراتي في حارتنا تسير راجلة من نفس الطريق الذي أسلكه.. اقتربت مني وسألتني عن سبب رؤيتها لي

غالباً أسير في هذه الطريق راجلاً، وما إذا كنت أواجه مشكله مادية مثلاً؟

بصراحة كان من الصعب عليّ أن أشرح لها أنني لا أطيق التحبب إلى صديق لأنه يمتلك سيارة ويسكن قريباً من حيّنا، أو أن أتخلى عن أسلوبي في الحياة أو أعدل فيه [بغض النظر عن كونه حسناً أو سيئاً؛ فهذا أمر شخصي] لأجل الحصول على المزيد من النقود وبالتالي أتخلص من العودة راجلاً.

كان من الصعب عليها أن تفهم لماذا يصر إنسان هو وسط المجتمع الكبير مجرد ذرة حقيرة لا يلاحظها أحد، على السير في الاتجاه المعاكس لحافلات المجتمع التي تتسابق بعماء مائل ومأساوي نحو اتجاه اللاعودة!

إنه لشيء مثير للسخرية أن ترى نفسك تعود راجلاً.. بينما بعض الأطفال الصغار ممن امتلكوا ذكاءً معاصراً كمبيوترياً يركبون أول حافلة تمرق أمامهم وهم يبصقون بوقاحة على طفولتهم وبراءتهم، ولهذا لم يعد مستغرباً أن تقابل طفلاً في الثامنة ويعاملك كأحد أساطين المجتمع المحترفين، وتذهلك خبرته المكتسبة من أفكار مجتمعنا المضادة للمجتمع!!

إنه لشيء مثير للخجل أن أعترف برغبتي في العودة طفلاً! حيث عرفت روحي آنذاك طعم البراءة والطهارة والحب الخالي من الشهوة أو المنفعة (كلاهما إذا انقضى انتهى الحب معه) ولكنني الآن أحاول جاهداً دونما جدوى..

أن أقرر العودة راجلاً وأنا على عتبات القرن الحادي والعشرين والسيارات والحافلات في كل متر من طريقي فهذا يعني أنني مجنون أو على أقل تقدير مغفل! هذا هو المفهوم الذي رسمته ملامح وجه جارتي الحسناء عندما قلت لها إنني لا أحب ركوب الحافلات!

أخيراً رأيتها تتوقف عن السير معي فقد نالها الإعياء، ومن ثم سرعان ما توقفت إحدى السيارات الخاصة لتقلها إلى منزلها.. نظرت في عينيها العسليتين بعمق، ففهمت من انكسارهما. فهمت أنها لا تملك نقوداً، وأنها ستدفع له يوماً ما. والأمر يعتمد على مهارة السائق في نيل أجرته!

قالت لي نظراتها من نافذة السيارة المنطلقة ببطء متعمد:

(هه .. سأصل قبلك ولن أعود بعد اليوم راجلة أبداً).!

قلت لها بعيني أيضاً:

(آه.. ما أظنك تعودين إلى منزلك بعد اليوم أبــداً.. كما قلت!)

وبالفعل وصلت جارتي ومرت عدة أيام على ذلــك الموقف شاعت خلالها في الحي نميمة تؤكـد أنـه فــي ذلـك اليوم لم تعد تلك الجارة الآنسة.. كما كانت.!

ولأنني كنت أحبها! لم أعلم بذلك إلا بعدما ســمعت الخبر من أفواه الجيران.

فقد استقصيت الأمــر حتــى تـأكدت مـن صحــة مـا قيل.. لذلك أصبــت بهـوس الرعـب مـن ركـوب السيارات خوفاً من أن لا أعود لمنزلي. ويعود بدلاً مني رجل آخـر! جارتي دفعت ما اســتطاعت وأنـا لازلـت متردداً فــي دفـع شيء من كرامتي وبضع كماليات من مبادئي..

وأنت أيها المنصـت لأقوالــي.. مـاذا ستدفع لكيـلا تعود إلى منزلك راجلاً؟؟

* * *

عبدالله باقازي

من مواليد 1950 (السعودية) أصدر أربع مجموعات قصصية، الموت والابتسام 1974، القمر والتشريح 1986، الخوف والنهر 1989، الزمردة الخضراء 1093. المجموعة الخامسة تحت الطبع.

الساعات لم تكن كافية

.. تأمل الساعات العديدة ذوات الأجراس القوية التي ابتاعها من السوق بالأمس.

.. مكث يتأملها ويعيد النظر في كل ساعة منها. كانت كل واحدة منها بجرس أقوى من الأخرى.. كان كل ما اشترى واحدة منها، سأل عن أخرى ذات جرس أقوى فيشتريها بعد أن يتأكد من قوة جرسها..!!

.. استلقى على ظهره، مسح الساعات المتعددة بنظرة رضا، وفكر بشكل جدي في الخطوة التالية: كيف سيوزع هذه الساعات حول رأسه عندما ينام لكي توقظه

مبكراً.. حيث امتحان "اللجنة".. أوه.. أوف... عصفت بنفسه زوابع قلق، هزه اضطراب عابر.. شرد ذهنه للحظات. ثم عاد يفكر في كيفية توزيع الساعات حول رأسه عندما ينام..؟!

.. عندما شرع في إعداد الساعات المتعددة حول رأسه، بدأ يعبىء أجراسها ويضبطها على وقت مبكر..!!

.. فكر أن الأجراس ربما كانت خافتة الصوت رغم تأكده أنه أولى هذه الناحية اهتماماً كبيراً فقد كان يبحث عن الساعات ذوات الأجراس القوية، ذاك أمر مهم لإيقاظه من نومه الذي طالما عجزت أمامه أقوى الأجراس..

.. انبثقت في ذهنه "فكرة" طارئة... ماذا لو وضع هذه الساعات المتعددة داخل "براميل صغيرة".. سيكون الصوت أقوى، سيكون للأجراس العديدة ذاك الرنين المتعدد اللاذع الضخم الذي تتضاعف قوته، ويبلغ مداه الصوتي أعماق أذنيه الغائبتين في ذلك السبات العميق، وكأنهما مدفونتان في بئرين عميقين أو كهفين بلا قرار ولا نهاية..!!

.. ارتاح كثيراً للفكرة، شقت فمه بسمة عريضة، شعر أنه حقق شيئاً رائعاً من التفكير والتخطيط..!!

.. لحظـــات كـــانت "الـــبراميل الصغـــيرة" قـــد أحضرت.. يملك منها العديد، حيث تمتلىء الغرفة الأخرى منها، ربمـا كـانت "براميـل دهـان" الشـقة، فـأفيد منهـا بعـد تنظيفها.. استخدمها هـو لتعبئـة أكبر قـدر مـن المـاء عنـد انقطاعـه، وهـي تسـاهم الليلـة معـه فـي إيصـــال أصـــوات الأجراس بقوة إلى أذنيه المتميـزتين بذلـك السـبات النومـي الثقيل..!!

.. استراح بجوار النافذة قليلاً، تملّى الشارع بلونـه الليلي المتمازج بالهدوء، سرح نظره بعيداً.. تخيل امتحـان "الغد" و"لجنة الامتحان" والموعد المحدد الباكر الذي ينبغي أن ينهض فيه..!!!

.. بعـد دقـائق، نهـض، أدخـل السـاعات ذوات الأجراس داخل "البراميل الصغيرة" متجاورة فوق رأسـه، نظر إلى ترتيبها، باعد قليلاً بينها في المسافة، ابتعـد عنهـا مسافة مترين وتأملها، كست وجهه ابتسامة رضا..!!

.. نظر إلى ساعة الحائط التي تعلـو رأسـه "باحثـاً عن الزمن" رأى عقاربها الثلاثـة تزحـف بتواصـل. أحـس بقيمة الزمن. وأنه ينبغي أن ينام سريعاً..!!

.. مضـت فـترة لا يعلـم عنهـا شيئاً، سـاد صمـت طويل أجواء الغرفة..!!

.. بعد ساعات عديدة، كانت أجراس الساعات ترن بعنف داخل "البراميل الصغيرة" في أصوات متعددة حادة تشوبها خشونة صدى قوي النبرات..!!؟

.. استمر الرنين العنيف المتعدد، وعقارب الساعة تمخر ساحة الزمن.

.. وصلت أصوات الأجراس الحادة العنيفة الخشنة إلى أسماع الجيران هبّوا.. يطرقون عليه الباب... لم يفتح لهم أحد الباب... اتصلوا بفرقة الشرطة، حضرت، كانت الأجراس ماتزال تدوي بعنف.. وهو يغط في سباته.

* * *

بدرية البشر

(السعودية) صدر لها نهاية اللعبة (1992)، مساء الأربعاء (1994). مجموعتها الثالثة أرواح شفافة تحت الطبع.

السحارة

كانت زوجة أبي امرأة قاسية، لا تشبه زوجات الأب في الحكايات المعروفة، ولا يكفي لوصفها تلك النظرة الملتاعة - التي تطفر من عيون نساء عائلتي حين ترتسم حانية عليّ من جراء وجودي بين يدي زوجة أب غير رحيمة. لأن زوجة أبي كانت لا تداري قساوتها مثل زوجات الأب الحاذقات بل كانت ترد على جارتها وهي تتهددني أمامهن:

- ماذا سينفعني إن أحسنت أم لم أحسن، أخرتها

سيقولون [مرة أبو].. ثم تعود لتبرر، أن القسوة هي التي تربي النساء، وتجعل منهن نساء حقيقيات.

لقد كان السبب الذي جعل أبي يتزوجها، هو أنها امرأة عاقر، وستغمرني بالحنان تعويضاً لحرمانها من نعمة الأمومة، ولن يأتيها يوماً ما أبناء يجعلونها تفرق بيني وبينهم. لكنني أدركت حين كبرت، وصرت أمًّا، أن الأمومة شيء لا نتعلمه.

لا أعلم لماذا برر أبي زواجه يومها من هذه المرأة، بحجة أنني صغيرة، وأحتاج من يرعاني، في حين كف هو عن رعايتي، وهو يرى زوجته تثقل كتفي الصغيرين، بحمولة تنوء بها طفولتي وصبري. لكن الحق كان معه، لأن زوجته تغلق على من يقف أمامها منافذ الهواء، فلا يعود يطلب سوى الستر، واتقاء الفضيحة وأبي رجل مسالم لا يحب الشجار، ويخشى من الفضائح أمام الناس، ومن الأقاويل التي ستنسج خيوطها حوله ويصير أبي خميرتها.

رقصات البنادق تشتعل بأقدام الرجال، [وعقلهم] من حمى الرقص تطوق رقابهم، وهم يغنون في عرس الجميلة. لذا رحت أحب شعري، لأنه صار مظلتي التي

تمطر بحكايات عمتي في مساءات الوحدة، وأنا نائمة. وتحميني من الغول الذي يشبه زوجة أبي.

كان لعمتي صندوق كبير، من خشب السنديان - تسميه السحارة - مرصع بقطع نحاس مدورة ومزلاجه الذهبي يصر في يدها كلما همت بفتحه.. كنت وأنا طفلة، لا أمل التنقيب فيه، ولا أصل إلى قطع الحلوى، حتى تمدها لي عمتي من مخبئها السري. حتى حلواها لها رائحة غريبة تمر الآن من تحت أنفي، رائحة تعبق بالعنبر والمسك والزعفران والمعمول، و(لبانها المر) الذي يتفتت بين أسناني، ويذوب في حلقي دون أن أشعر. تظل رائحته تنبعث مع أنفاسي، حتى صباح اليوم التالي. في صندوقها أيضاً، أكياس قماشيه، أفواهها مضمومة بخيوط من القيطان البيض، تنبعث منها رائحة سدر وحناء وعقود، لا أعرف كم عددها، لكنني في كل مرة أرى عقداً يشبه الآخر، بخرزات من لون مختلف برتقالية، وزرقاء، منظومة كحبات المسبحة، تتوسطها قطعة مدورة من الذهب، عليها رسوم غريبة. أدركت فيما بعد أنها زخارف فارسية، وهندية أو بحرينية. تتركني عمتي طوال الوقت أتفحص السحارة، وهي تعرف أنني لن أشبع، ولأن وقت الضحى قصير تقوم عني إلى سجادتها لتصلي ثم تحاول

شدي نحوها، حين تفتح قرآنها الكبير، ذا الأحرف الكبيرة، وتناديني:

- النوري[1] [لا أحد يناديني بهذا الاسم غيرها لأنها وحدها التي تدلعني] وش هالكلمة؟ أطل في القرآن وأقرأ لها كلمتها الصعبة وأحياناً أتمدد تحت جذعها الدافيء وعذوبة قراءتها وأدخل في لجة الأخيلة حتى أنام. عندها تحملني شراسة الوقت إلى بيتنا، لأكنس الحوش، وأغسل الصحون، أكتب في كراريس المدرسة واجبات كثيرة يتناصفها النوم مع بياض الورق.

تعلمت حين كبرت، كيف أقاوم شراسة زوجة أبي، وعمتي تدفعني بنظرات مطمئنة نحو أن أكون امرأة قوية ولكن عاقلة، فصرت أقضي النهار في بيت عمتي، أكتب واجباتي المدرسية، وأنام ملء جفوني، وأملأ معدتي بخبز عمتي الحار، تاركة عمل البيت وخدمته لزوجة أبي، التي راحت تتوعدني، وتهيض همم أبي ليمنعني من البقاء مع عمتي. وحين لم تجاوبها سوى لطمات الباب وهو يقفله خارجاً، راحت تتركه في كل يوم بلا غداء، فصار يأتي ليتغدى معنا في بيت عمتي، وتجلس زوجته وحيدة، تقضم فراغها وحسرتها، بل صار أبي أحياناً يمضي قيلولته معنا، وبدلاً من أن يهيء لي طريق الخلاص راح يتبعني.

كبرت عمتي ولم أصدق أنها تكبر، ولم أشعر بالفرق، لأنني كنت أحسها من الداخل، تزداد حنواً وشفافية، وحين كانت تطلب مني أن أصبغ شعرها بالحناء، لأن بياضه راح يكثر، حتى صار يغطي رأسها، رحت أصدق ما ترويه عمتي، عن نساء عائلاتنا وشعورهن التي تشيب مبكراً وهن صغار. وعندما صارت تطلب مني وأنا فتاة فارعة الطول، بأن أمد يدي لتتكىء عليها وهي تنهض وساقاها ترتجفان ضعفاً، اعتقدت أنه [روماتيزم المفاصل] الذي لا يترك أحداً. وحتى عندما صارت عمتي تدخل في سجة النوم وهي جالسة، رحت وأبي نعايرها بالكبر مزاحاً:

- عمتي يالّله قومي نامي وخلي السهر للشباب!

فكانت تنهض وهي تردد: يالّله حسن الختام.

لكن عمتي التي لازمت الفراش أياماً طويلة، وصوتها الواهن راح يختصر العبارات إلى إشارات إذا لزم الأمر، أيقظ في نفسي خوفاً لم يرد أن يصدق أن عمتي تشيخ وتهرم. فلم أتمالك نفسي وأنا أبكي عند قدميها، وألومها بأنانية طفلة تحاول التشبث بأمها لكي لا ترحل:

- عمتي هل ستتركينني أنت أيضاً؟

- يا بنتي كل نفس ولها كتاب.

ثم أشارت نحو السحارة، وقلبي يتهشم ببكاء مر، وأنا أنظر إليه، ثم إلى عمتي لأدرك ماذا تقول:

- يا بنتي هذه السحارة لن تكون لسواك، لقد كانت سلواك وأنت طفلة ومخبأكِ من زوجة أبيك هل تذكرين عندما كنت صغيرة كانت دموعك تجف وهي تبرق حين تنظرين إلى حلواها وتدخلين فيها سالية عن أوجاع الأطفال التي تُنسى. ثم أضافت وهي تخفض صوتها:

- هذه السحارة فيها سري، سأكون داخلها أنصت لك، وأراقبك بعناية، وحين تريدينني سأكون قريبة منك، وسأهتم بك عند الحاجة فلا تخافي، فإن ضاقت بك دنياك افتحيها في ظلال الليل وستجدين وجهي يقابلك، إن كان يضحك فهو الرضا بما تسألين عنه، وإن كان غير ذلك، فهو كما رأيته.

فَقْد عمتي كان أمراً بالغ الصعوبة. وحدي التي رحت أقف في عزائها، كما لو كنت ابنتها الوحيدة، في حين اعتنى ابناؤها بالمعزين الرجال، وزوجاتهم أخذن يعنين كثيراً بآداب العزاء، وفناجين القهوة المرة؛ لتمر على المعزيات دون إهمال، فيما رحت أفكر في أي صحراء شاسعة من الوحدة، يرميني رحيل عمتي، وأي

شمس ستحرق جبهتي. وتعلمت، أن الاحتزام بالصبر، ذلك الدرس القديم قد حان وقته دون خيار.

حين اعتدت الوقوف على سحارة عمتـي، دون أن يتهشم صدري بالبكاء، رحت أسلي نفسي بأشياء عمتي في ظلام الليل كما اشترطت، ورحت أشم زعفرانهـا وحناءهـا وعنبرها المخلوط بالمسك وإذا ما أردت يوما اختبـار أمـر ما نازعتني فيه حيرتي رحت ألوذ بوجه عمتي، كما حـدث معي ذات يوم، حين جاء أبي ليخبرني بخطبة [سـالم] ابـن جارنا لي، ورغم أن سالم هو الرجل الوحيد الذي لا يعكـر صفوي البوح باسمه في أمسيات الوحـدة، ورغـم شـعوري بقربه مني [حتى عندما كان يدرس بعيداً في الريـاض] إلا أن أمراً كهـذا، كنـت أدرك أن عمتـي وحدهـا مـن سيشـير علـي بـأي طريـق يعدنـي بـالخلاص لـذا فـإنني قلـت لأبـي حينها:

- سأستشير عمتي. وركضت إلى غرفتها.

ربما هيىء لأبي أنني سأصاب بلوثـة فـي عقلـي، بسبب فقدي لعمتي التي كان يعـرف مـدى تعلقـي بهـا. لـذا فإنه كان حريصاً على تزويجي قبل أن أجـن، وربمـا ظـن أيضاً أنني أداري خجلي، وفرحي، وحزني لافتقادي عمتي في هذا الوقت، بالركض إلى غرفتها، والبكاء لكنني بالفعل

كنت أهفو، إلى سحارة عمتي، لأفتحها، شاهدت عيني عمتي تضيء لي في غطاء باب السحارة الداخلي وأسنانها الصغيرة الملتصقة بانتظام تلمع.

عرفت ساعتها أن عمتي تباركني، ولا تخشى علي من أمر هذه الزيجة.. لذا تزوجت.

حين انتقلت إلى بيت زوجي سالم، حملت سحارة عمتي معي، ولأن صفحة حياتنا كانت رائقة كوجه نهر، أيامه الماضية لا تشبه الأخرى، رحت وزوجي، وطفلاي، نغرف من النهر حكمته، التي لا تنضب، وغابت سحارة عمتي بعيداً في أسفل الخزانة. وذات يوم، علا صراخ الصغيرين، وسباقهما نحوي، كل منهما يحرص على سبق الآخر، ليبرىء نفسه.

صاح عبدالله: يمه[2] والله هو، هو الذي سوَّاها.

- راح الآخر يقسم. بل هو يمه هو..!

اتجهتُ نحو الغرفة، التي خرجا منها، وأنا أركض. الخزانة المفتوحة تطرح صندوق عمتي على وجهه، وحناءها منتشر على الأرض، ولاتزال رائحته عبقة ندية كما كانت من قبل. وعقودها، تتكوم في جانب آخر. رفعته، وقلبي ينكسر، حين سمعت صوت مرآة

تتشطر، وهي تسقط في وجه غطاء السحارة، لم يعد الغطاء من الداخل، سوى لوح أسود، لا يضيء بداخله وهج، ولا عينان رفعت المرآة بحذر، وأنا أضحك لطفولتي ودفء عمتي التي كانت تحملني في كل مرة أفتح السحارة، إلى مشاهدة وجهي ليس غير.

وضحكت أكثر حين أدركت إلى أي حد كنت أشبه عمتي!!

الهوامش

(1) النوري: تدليل لاسم نورة.

(2) يمة: بالشعبية تعني يا أمي.

* * *

عبدالله محمد الناصر

(السعودية) صدر له مجموعة أشباح السراب (1998).

الأضحية

حينما فرشوا بساطهم تحت شجرة الصفصاف على جانب النهر راح كل منهم يؤدي عمله في همة ونشاط.. البعض يعد القهوة، والبعض يضع الفحم على منقل الشواء.. وبعضهم يهييء أدوات الطبخ.

جلسوا يحتسون الشاي.. أقبل حازم وقد جاء متأخراً عنهم يحمل رزمة من الجرائد.. رماها وراح يسلم عليهم سلام العيد..

قال له عمر وهو يمزح: لماذا تحمل هذا البلاء إلينا أجئنا للتنزه أم لقراءة هذه الفجائع؟

رد قاسم وهو يتناول إحدى الجرائد: وهل تظن أننا إذا لم نقرأها سيصلح الكون.. هذا عذاب يومي ووجع يومي لابد أن نتابع أخباره..

قال عمر: ولكن ليس في هذا المكان وليس في هذا اليوم.. هذا يوم عيد أردناه للفرح وليس للحزن والكآبة.. نريد يوماً واحداً نضحك فيه كبقية خلق الله لننسى مآسينا وهمومنا في غربتنا ، ولو ليوم واحد حتى ولو كان ذلك في مخادعة للنفس.. لا مانع من تزوير الفرح.. دعونا نضحك، وننطلق.

هلل معظم السامعين لكلامه وقالوا: والله إنك على حق..

لم يعجب قاسم ولا حازم هذا التهليل.. وشعرا بشيء من الإساءة المبطنة لهما وكأن في ذلك تسفيهاً لأقوالهما.

قال قاسم: هذا هو عيبنا حتى المشاركة بالأحاسيس صارت نوعاً من أنواع الخدمة الوطنية!! يا ناس حرام عليكم كيف تفرحون بيوم العيد وتسعدون به وتضحكون وهناك أناس محرومون يتعذبون بالتشريد، والذبح والقهر اليوم في وطننا العربي.. ألم تسمعوا ماذا

تم في مدينة القدس صباح هذا اليوم.. ألم تروا المجـزرة للشبان الفلسطينيين الذي أطلقـت عليهم نـيران الاحتـلال من كل صوب فقط لأنهم راحوا يصلون صلاة العيد!!

وأنتـم تريـدون أن نتفـرح وأن نطـرب ونرقــص ونغني.. أليس عيباً وأنتم تمثلون النخبة المثقفة التي مـن المفترض.. أن تكـون قلـب الأمـة النـــابض بأحاسيســها وهمومها ومواجعها.. ألا تكفينـا مهازلنـا السياسـية.. ألا تكفينـا هـذه الفضائيـات "المسـخرة" التـي تـردح فـي قلـب المأساة.

قال حمد وهو يطوي الجريدة في يده: يا جماعــة صلـوا علـى النبـي: ليس فـي الأمـر تعـارض..! نفــرح بالعيد.. ونحزن أيضاً لأهلنا.. إذ ليس معقولاً أن تتحـول أيامنا إلى حزن ومناحة، وليس معقولاً أيضـاً أن تتحـول إلى فرح وردح وغناء.

رد عليه قاسم.. وقـال: كـلام جميـل ولكـن ليـس هناك أكثر ردحاً منكم يا أهل الخليج.

صاح حمد بانفعـال: نحـن أبنـاء جزيـرة العـرب ولسنا أبناء خلجـان. وأرجـو ألا أسـمع هـذه الكلمـة مـرة أخرى.

أردف مجدي بحدة وقال: لا يا أخي هؤلاء وقفوا معكم ومعنا.. ولا يجوز منك مثل هذا الكلام.

اعتدل مجدي في جلسته وقال محتداً: أنا لا أقبل مثل هذا الكلام هذا تجريح وتجاهل وإنكار.. نحن دخلنا ثلاث معارك من أجل تحرير الأرض، ضحينا بدمائنا، وأموالنا وأرضنا ثم نتهم هكذا؟!!

صاح عمر يا جماعة لا يجوز هذا الذي يحصل بيننا.. عيب أقسم لكم بالله أنه عيب.. يوم عيد مبارك نجتمع للم الشمل فإذا بنا نفترق ونتناحر ويتهم بعضنا بعضاً ألا يكفي ما يدور في أجهزة إعلامنا.. كفى يا أستاذ وليد رجاء.

صاح قاسم كفاكم نفاقاً ومهادنة أنتم لستم أوباشاً أنتم مثقفون.. والمفترض أن هذا الكلام لا يؤذيكم، ومتى كانت الحقيقة تؤذي المثقف؟

رد مجدي بغضب ولكنك يا أخ قاسم أنت تتجاهل الحقائق وتنكر الوقائع التاريخية المعروفة. والمثقف تفرض عليه أخلاق المهنة أن يكون عادلاً ونظيفاً.

قال في امتعاض: أنا لا أنكر شيئاً.. صحيح أنكم خضتم معارك.. ولكن لا ننسى أنكم سبب النكسة.. لقد كانت نكسة حربية وسياسية وإعلامية بعد أن نفختنا مدارس الرغاء الإعلامي بقيادة المظفر "......" ثم ختمتموها بـ (.........) يا أخ مجدي شعبكم شعب عظيم وشعب وطني عربي مخلص ولكن هذا لا ينفي التحدث عن الأخطاء.

رانت على وجه مجدي حالة من الألم، واقتنع بأنه لا طائل ولا فائدة من الحوار؛ وأخذ نفسه ليجلس بجانب حمد الذي هو أيضاً أحس بأن كرامته جرحت بلا سبب.

كان خروف الأضحية مربوطاً بجانب شجرة بعيدة وكان ثغاؤه يمتزج بضجيجهم ونقاشهم المحتد.. فهو ينظر في قطعان الأغنام التي ترعى في سفوح الجبال منطلقة وهو في قيده.

أراد عمر أن يخفف التوتر وقال ساخراً بصوت مرتفع: دعوكم من أمر التحرير وذبح الأعداء وقوموا إلى ضحيتكم فاذبحوها.. ومد السكين إلى وليد وقال: أرنا همتك..

انطلق قاسم وفك رباط الخروف وقاده بعيداً عن الشجرة كي يذبحه.. ونادى وقد أعطى ظهره للمجموعة ليأت واحد منكم يمسك أرجل الخروف، كي "أذكيه".

قفز حازم مسرعاً إليه.. سدح عادل الخروف وبرك على رجليه ومسك بيديه ووقف قاسم فوق رأسه وهو يقول له أدره قليلاً إلى جهة القبلة.. وراح حازم يديره بصعوبة وهو يرفع رأسه نحو قاسم ويقول بصوت هادىء: لقد قسوت على الجماعة يا أخي..

نهره قاسم وهو يضع رجله على رأس الخروف قائلاً: لم أقس على أحد.. رد عليه: بل قد أخذتك الحماسة أكثر من اللازم.. ولا تنس أن القيادة وقعت في ما هو أسوأ من ذلك. ألم ترها توقع اتفاقيات.. وتعتقل القيادات الأخرى وتزج بهم في السجون.

ارتعدت رجل قاسم من فوق الخروف واضطربت السكين في يده.. وهو يقول: لعلك تتحدث عن حماس؟! هؤلاء ارهابيون سيدمرون خمسين سنة من الكفاح. صاح حازم ورجلا الخروف تتحركان من تحته.

حدك يا قاسم.. متى كان الذين يدافعون عن تراب الوطن ارهابيين.. هؤلاء مجاهدون شرفاء يفجرون أنفسهم وينثرون دماءهم من أجل التحرير الحقيقي للوطن.. وليسوا كمن "فرزنوا" القضية وباعوا صمود خمسين سنة بلا ثمن.

صاح قاسم بأعلى صوته وهو يرفع يده في الهواء ويقول: نحن يا ابن الكلب..؟!

قفز حازم واقفاً وقد انطلق الخروف من تحت أرجلهما.

أهوى قاسم بسكينه على حازم فانغرست في يده عندما حاول صدها.. أخذ الدم يتدفق من ذراع حازم بغزارة.. أما الخروف فقد راح يمرح في سفوح التلال بعد أن دس جسده وسط القطيع.

* * *

سالم بن عبدالله الحميدي

(عُمان).. نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

حكاية رجل المطر..

يا عمّ! يا عمّ!

دار رأسه باتجاه اليمين ربع دورة، وبدا جانب الوجه مبتسماً:

.. يا عم نسيت صرتك!

تأتلق الابتسامة وشع وجهه ضياء.

تزداد رائحة الأرض مسكاً وتنتح بحلم المطر.

يرفع عصاه الغليظة بخفة عن الصرة ويمضي إلى الأمام.

* ....

– وإذن أين الصرة الآن؟ (قالت مريم)

* تركتها مكانها. بدت كبيرة عليّ. فكرت أن أتقدم لأخذها داخلني الخوف، والعم رغم ابتسامته تلك بدا وكأنه يوصيني بالإبقاء على الصرة مكانها.

– أنت جبان؟ اذهب لإحضارها الآن.

– لا.. لا.. لا أستطيع!

– لماذا؟

* إنها كبيرة ومتسخة و..

– وماذا؟

* ومرعبة.

– آه منك أيها الجبان!

* لست جباناً (قلت بتحد).

– أنت كذلك.

* لست جباناً. أقول لكِ لستُ جباناً (وكدت أبكي).

جدي وصل من (البندر)[1] الذي لا يحب أن يذهب إليه كثيراً، هذه المرة ذهب متقصياً أخبار أبي الذي رحل

منذ جمعتين ولم يعد، سمعت اللغط الحادث في فناء الدار تخيلت أبي وسط الحوش تماماً يخرج أصابع الحلوى بألوانها الزاهية ويوزعها علينا واحداً واحداً ويخصني بأصبعين إضافيين. أبي يحب البندر كثيراً، عادة ما يذهب إلى البندر مرة واحدة على الأقل في الشهر. في المرة الأخيرة ذهب صباح يوم الخميس برأسين من الماشية وثلاث جرار من الجبن الأبيض واللبن المالح والسمن لكنه لم يبت كعادته، عندما يذهب نهاية الأسبوع ويأتي عصر اليوم التالي بعد أن يؤدي صلاة الجمعة في الجامع، حضر قبيل المغرب ألقى التحية على جدي وعلينا، ووزع أصابع الحلوى الزاهية خصني بإصبعين إضافيين. خلع ملابسه واستبدلها ببيضاء جديدة توشح الصمعة وحزام الرصاص ومخزن إضافي وكسرات خبز صرهما في قطعة بيضاء وقال:

- لقد نشبت الحرب، لقد هاجموا المدينة الكبيرة، والطائرات تدخلت لأول مرة في القتال. دكت المدينة، يجب أن أذهب أراكم على خير.

- أين المبلغ الذي بعت به الماشية و.... (قالت أمي) - تبرعت به لأطفال الشهداء ستجدين بعض القروش في المندوس القديم قال ومضى مبتسماً.

سمعت صوت جدي الغليظ الذي لم يحضر أصابع الحلوى الجميلة من البندر:

- ... وإذن ماذا حدث؟

- الصغير مريض، ذهب عصر أمس ناحية الخرابة وعاد مريضاً (قالت أمي).

- ثم ماذا؟

- لم يتحدث منذ ذلك الوقت لكن مريم أخبرتني أنه ترك بخته أمس في الخرابة، جبن عن التقاط الصرة من رجل المطر.

- إنه صغير، كان عليك أن تذهب لإحضارها. يالبؤس الصغير سيعيش بدون بخت أبداً مسكين..

قلت لجدي تلك المغربية التي رحل فيها أبي: من هم الشهداء يا جدي؟

قال: هم مبخوتون يصطفيهم الله ويختصهم من بين البشر ليكونوا معه.

حينها احتد عمي ناصر: أوه يا أبي المبخوتون هم الناس الذين عاشوا وأثروا، والذين عرفوا كيف يصلوا على جثث الذين قاتلوا وماتوا.

* من الذين ماتوا يا جدي؟

- الشهداء.

* وكيف يكون الشهداء مبخوتين وهم أموات يا جدي؟!

- الشهداء أحياء عند ربهم يا بني، تظل أرواحهم هائمة كطيور زاهية الألوان جميلة المنظر.

- اسمع يا سليم المبخوتون الحق هم الأحياء أما الموتى فليسوا كذلك مطلقاً مطلقاً (قال عمي بغضب).

- يا بني المبخوتون هم الشهداء الذين ضحوا وقدموا أرواحهم لتعيشوا، أما المبخوتون الذين يتكلم عنهم عمك الخيبة هذا فهم حشائش ضارة يجب اجتثاثها واقتلاعها.

- إنهم ضاربون بجذورهم، وما من سبيل إلى اقتلاعهم وحرقهم أبداً (قال عمي بحدة وخرج) ظلت الأسئلة تضج برأسي: من هم الأحياء؟ من هم الأموات؟ ومن هم المبخوتون؟ لكني لم أشأ أن أسأل جدي الحزين منذ رحيل أبي، وعمي الذي خرج مغاضباً ناحية الوادي خلف القرية حمل صرة كتبه في نوبته المعتادة التي تستمر أياماً ثم يعود مبتسماً ويضمني إلى صدره بيديه الطويلتين لم يعد أيضاً!

يا جدي..! يا جدي!.. يا جدي!

- ما بك يا بني؟

* أنا بردان يا جدي أشعر بـأطرافي كقطعـة ثلـج. لا، أشعر بالحرارة تلتهم رأسـي كأنـه رأس عجل، أُخـرج من تنور الشواء: ماء. أريد ماء.. مااااء... ش وااا،

* ماذا حدث يا جدي؟

- قل لي أنت أولاً ماذا حدث معك؟

* كنـت أنتظـر أبـي الـذي لـم يكـن قـد عــاد تلـك العصرية أيضاً. ارتفع المطر قليـلاً، ألبسـتني أمـي قميـص صوف تحت الدشداشة، وخرجـت لأنقب فـي الأرض مـع أبناء الجيران كعادتنا بعد توقـف المطـر. تصـور يـا جـدي مرة بعد نوبة مطر قوية حصلت على قرش فرنس[2].

قطعـت السكة أمـام بيتنـا التقيـت بخلفــان وحميـد وسبيت ومريم. قطعنا السكة أمام بيت العـم عـزان ودلفنـا الزقاق المؤدي إلى الباحة لم نجـد شـيئاً: الأرض موحلـة ولا شيء!

افترقنـا: ذهبـتُ وسـبيت ومريـم باتجـاه الخرابــة القديمة، وذهبا باتجاه (المال)[3].

السماء كومت السحب فـوق الخرابـة تمامـا: مريـم

وسبيت فضلاً العودة وبقيت. السماء ازداد عبوسها أرعدت بقوة وأبرقت، وصل البرق حتى الأرض! درت السحب مخزونها مباشرة فوق الخرابة أحسست بالخوف والضياع والبرد رغم قميص الصوف!

تكومت في زاوية من زوايا الخرابة شعرت برغبة عارمة لاحتضان صدر أمي الدافىء لكني زغت عن كل ذلك أملاً بارتفاع المطر من جديد للحصول على قرش فرنس.

- لا بأس يا بني استرح الآن.

* لا. أريد أن أكمل، أحس برغبة قوية في الحديث، وأحس بالبرد ذات البرد.

- هل تريدني أن أقفل النافذة؟

* نعم. لا لا. لا أعرف.

- حسن ثم ماذا؟

* لا أعرف. المغرب: قبله - بعده لا أعرف. البرد كان شديداً وانهمرت المياه دفقت من مزاريب الخرابة المهملة وسالت من الأقنية التي جرفت الطين بقوة، والرعد يصك زوايا الخرابة والبرق الذي يصل الأرض يلمع قدامي والبرد يقرصني وضعت يدي

بين ركبتي ورأسي إلى الزاوية تماماً بين تقاطع الجدارين، تكومت ورأسي بين ركبتي، التمع البرق بحدة مرة أخرى كاشفاً المكان رفعت رأسي إلى تماس الجدارين كما كان بغتة، ومع انبعاث البرق الذي يصل الأرض، خرج رجل طويل: طويل جداً، ونحيف ساقاه بالكاد تحملانه ولحيته إلى صرته يحمل عصا غليظة يعلق بها صرة يضعهما فوق كتفه الأيمن قال: سيتوقف المطر وستخرج إلى بيتك عما قليل.

* من أين جئت يا عم!

- جئت مع المطر.

* وكيف تجيء مع المطر يا عم؟!

- أنا رجل المطر يا بني أجيء معه.

* ومن أين تجيء؟ وأين تذهب؟ ومن أين يجيء المطر؟ وأين يذهب؟ وماذا تحمل في صرتك؟

- لماذا تسأل كثيراً يا فتى؟ اسأل في كل مرة سؤالاً واحداً فقط.

* أريد أن أعرف ماذا في صرتك؟

- (البخت!)[4].. البخت يا بني، وضحك حينها، توقف المطر، أنزل عصاه بهدوء ورفعها بسرعة عجيبة

قبل أن يرتد طرفي، خالية كانت أطول مما تصورت وأقل غلظة عن ذي قبل، ومضى إلى ناحية الجدار الذي انقشع جزء منه بفعل البرق الذي يصل الأرض. انتبهت إلى الصرة التي بدت كبيرة ومتسخة ومرعبة ناديته:

- يا عم! يا عم!

مع قدوم الليل أحسست بأطرافي باردة جداً، وكان البرد شديداً وأنفي يزتكم برائحة الأرض التي تفيض بحلم المطر.

كنت أرفع بصري ببطء شديد وكمن يحلم دخل أبي وقف عند رأسي مباشرة جلس من فوره ماسحاً بيده أعلى رأسي وجبيني خصني بإصبعي حلوى زاهيين ورمقته بهدوء الفاشلين وخيبتهم:

* أبي من أين يجيء رجل المطر؟

- من البعيد يا بني.

* وأين البعيد؟

- لا أعرف تحديداً كل ما أعرفه الآن أن عليك أن تقتفي الرجل العجوز الذي يأتي مع المطر وتحصل على الصرة. إنها لك صرتك بختك، وبدون الصرة يا بني...

* ماذا يا أبي؟

- بدونها ليس لك بخت في هذه الحياة.

* وكيف أعرف رجل المطر يا أبي؟ وكيف يمكنني أن أتتبعه؟

- رجل المطر له رائحة الأرض وقت احتضانها حبات المطر ملابسه تتضوع بعبق لا ينسى. رائحة الطلع إذا بدأ في الينوع والتربة إذا انفلقت لتخرج البذرة، رائحة لا يمكن أن تتساها مطلقاً تظل عالقة في مخيلتك إلى الأبد.

* كرائحتك تماماً يا أبي. كرائحتك هذه أليس كذلك؟!

بعد جمعة من وصول جدي من البندر أرعدت السماء وأبرقت قبل أن تنزف ماء عيونها بشدة ولم تتوقف إلا فيما ندر شعرت بالبرد والخوف رغم أنني أمسك بيد جدي وأصرخ:

* استو.. واقفاً يا أبي أرجوك! قف الآن أرجوك! وكنت أبكي.

حينها أدار الرجال الثلاثة رأس أبي باتجاه القبلة وأضجع على جنبه الأيمن، وكان الوجه مبتسماً تماماً. أئتلقت الابتسامة وشع جسده ضياء ونوراً كرائحة الأرض

تستقبل حلم المطر والصرة البيضاء الكبيرة والمقبرة، وارتفعت عصيّ القوم الغليظة: طويلة جداً - بخفة عجيبة عن الأرض، وأرعدت السماء من جديد، ومضوا في طريقهم يحوقلون حينها انفلت عمي ناصر الذي عاد صبيحة ليوم من الوادي عند ناحية الصرة.

رمقها فترة ثم غرز عصاه الدقيقة فيها ورفعها ببطء. أدار رأسه ربع دورة، وبدا مبتسماً لي وهو يرمقني وأنا أناديه:

* يا عم! يا عم!

إشارات النص

1 - البندر: الولاية/ المدينة (في اللهجة الدارجة).

2 - قرش فرنس: دولار ماريا تيرزا عملة معدنية كانت مستخدمة حتى وقت قريب.

3 - المال: قطعة الأرض المزروعة بالنخل (م د).

4 - البخت: الحظ.

* * *

زينب أحمد حفني

(السعودية) أصدرت العديد من الأعمال الأدبية

بيت خالي

استيقظت من نومي على لكزات خفيفة في خاصرتي، فتحت عينيَّ بتثاقل، لمحت من خلف غشاوة النوم هيئة أمي واقفة أمامي، الدموع تملأ صفحة وجهها، لملمت شتات ذهني الخامل، سألتها بجزع.. ماذا هنالك؟! قالت: خالك توفي في ساعة متأخرة مساء الأمس، سيوصلني السائق إلى منزله، ويعود لأخذك. حاولت جاهدة الانسحاب من طراوة الفراش، مخدر النوم مازال يسري في أوصالي، لاح أمامي طيف خالي، ترحّمت عليه، تحوقلت، تعالى فجأة رنين الهاتف، مخترقاً جدار

الصمت الحزين، تجاهلت نداءه، واصل الرنين بإلحاح، استسلمت في النهاية له، اخترق سمعي صوت أختي الكبرى.. "حياة".. خالنا توفي.

- أعلم..
- هل أمرٌ عليك؟!
- حسناً.. أفضّل الذهاب معك، عوضاً عن السائق.. أنت تعرفين أني لا أحب حضور مراسم العزاء.
- يرتفع صوتها، قائلة بحدة: لكنه خالك!!
- لا داعي لموشحات النصائح هذا الصباح.. أنت تعلمين مقدار حبي لخالي!!

أحسست برعشة كآبة، تسري في مفاصلي، وأنا أدلف عتبة البيت العتيق، الزاخم برائحة الموت؛ تصعقني رهبته، صوت المقرىء ينبعث من جهاز التسجيل ".. يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية.." تجول عيناي في أرجاء المكان، الأثاث القديم، الحجرات الواسعة، العالية الأسقف، الجدران المتصدعة، السلالم المتآكلة، "شيش الرواشين" المتساقط من لطمات الرطوبة، كل شيء يئن من سياط الزمن، التي تركت بصماتها على كل الأشياء. نفثت زفرة طويلة، لاحت مني التفاتة صوب

زوجة خالي، المتشحة بالسواد، تعجّبت.. سبحان اللــه، كم تُعجِّل أوجـاع السنين بشيخوخة الإنسـان!!.. كأنهـا امـرأة تجاوزت السبعين، وهي مازالت في الستين!! أمـي تربـت على ظهرها، تشتركان في تقاسيم الألم، خـالي كـان شـقيق أمي الوحيد، أعرف مقدار حبٍّ بعضهما لبعض، لم أرهمـا يوماً متخاصمين، كان يـأتي كثيراً لزيارتنـا، يبثُّ همومـه لأمي، رغم كونها تصغره بسنوات ليسـت بالقليلـة، تخيّلت هيئتـه، ابتسـامته الوديعـة، حكاياتـه الشـائقة، كـان وميـض الرضا يطلُّ دوماً من مساحة عينيه، يسكن في أحد الأحياء الشعبية، عند مدخل سوق "العلوي" في مـنزل قديـم، تعلـوه مظاهر الفقر، ورثه عن جدي، تنازلت له أمي عن نصيبها فيه، أنجب ابنة واحـدة، حـاول أن ينجـب غيرهـا، لـم يـرد الله، سلم أمره، واكتفى بعطيّة الرحمن.

كانت "صفيّة" ابنة خالي، في نفس عمـري تقريبـاً، فائقة الجمال، ورثته عن والدتها، اليمنية الأصل، كانت لها عينـان واسـعتان، عسـليتا اللـون، ووجــه مسـتدير، دقيـق الملامح، وبشرة ورديـة، ناعمـة الملمس، وجسـد عـاجي، متناسق القالب. كـانت تنتـابني أحيانـاً لمسـات غيرة منهـا، أحرص على قضاء عطلة نهاية الأسبوع في بيتهم. زوجـة

خالي، سيدة صارمة، ذات أنوثة أخّاذة، عقليتها مدبرة، استطاعت التآلف مع أوضاع خالي المادية. أتذكر كيف كانت تدخل علينا، ونحن نغط في النوم، تغلق جهاز "التكييف"، تُدير المروحة العامودية، توقظني حرارة الغرفة، أهرب إلى السطح، تصفعني نسمات الليل الندية، أسترق النظر إلى النجوم، أحس بوقع أقدام مجهولة، أهرع من مكاني، أندسّ تحت اللحاف، أنفاس "صفيّة" تداعب أرنبة أنفي، أدير رأسي إلى الجهة الأخرى، أغوص من جديد في بحيرة النوم. كانت زوجة خالي تحب تربية الطيور، أفرح أنا و"صفيّة" برؤية طقوس الذبح، كنا نقف من بعيد، نراقبها وهي تمسك برأس الطير، في يد واحدة، وباليد الأخرى تنحر ببلادة رقبة الطير بالسكين، اندفاع الدم يقززني، أخفي وجهي براحتي، يتملكني الفضول، أعاود الفرجة.

عندما تفتّحت معالم أنوثتنا، قرر أهلنا وجوب ارتداء العباءة، بكيت بحجة أنها ستعيق حركتي، لاحظت وقتها الفرحة تعلو وجه "صفيّة"، سألتها بدهشة عن مبعثها، أجابتني بنشوة.. أنت بلهاء.. لبس العباءة، اعتراف صريح بدخولنا عالم الكبار!! بعد عيد ميلادنا الخامس عشر،

أخذت أحاديثنا منحى آخر، وأسراراً من نوع مغاير، كنا نغافل زوجة خالي، ونهرع إلى سطح البيت، ونتسلق سوره العالي، لرؤية "صدّيق" ابن الجيران، الذي كان بيتهم مواجه لبيت خالي، كانت "صفيّة" مغرمة به، وكان هو الآخر متيماً بها، لم يكن صغيراً، بل شابًّا في الثالثة والعشرين، مهووساً بكتابة الرسائل الغرامية، بارعاً في رصِّ معاني الحب، يكتبها بلغة جميلة، يبث فيها أشواقه، كان يربطها بحجر، ويقذفها ناحيتنا. ذات مرة قابلته خلسة، رجعت وضربات قلبها تتسارع دقاته، وجهها مشعٌّ بالسعادة، سألتها يومها بلهفة.. قصّي عليَّ ما حدث بينكما. أسدلت أهدابها إلى الأرض، أجابتني بمكر طفولي، وشفتين مرتعشتين.. لم يحدث شيء.

عندما كنا نصغي لكلمات الأغاني العاطفية، أو نتابع مشاهد ساخنة، لأحد الأفلام، على جهاز "الفيديو"، تداهمنا بغتة فلول رغباتنا، تعلو وجهينا حمرة من الخجل، تحاول كل منا مداراة خفقاتها عن الأخرى، سألتني مرة على استحياء.. ألا تحلمين برجل؟! أجبتها بصوت خفيض.. نعم. في بعض الأحيان، نمارس لعبة الوقوف أمام المرأة، نتخايل في تباه، تظهر كل منا مفاتنها الأنثوية، تستفزني قائلة: انظري، لقد حباني الله بأروع جسد، تملكه

فتاة على وجه الأرض. في إحدى المرات، أرادت "صفيّة" إلقاء رسالة إلى "صدِّيق"، قالت لي: امسكي السلم جيداً. غرقنا لحظتها في هستيرية متواصلة من الضحك.، لا أدري كيف اختلّ توازنها، قفز جسدها خارج السور، ترنّح في الفضاء، سقط أمام ناظري على أرض الشارع، كان البيت مكوناً من ثلاثة طوابق، لسوء الحظ وقعت "صفيّة" على رقعة صلبة، عاشت بعد الحادثة ثلاثة أيام، في غيبوبة تامة، ثم قضت نحبها. دخلتُ سنة كاملة، في قوقعة الكآبة، طيفها يسبح في عتمة أيامي، صوتها يرن صداه في أذنيّ، كنت من حين لآخر، أزور خالي، نظراته تحيطني بالحب، المغلّف بصهد الظمأ والشوق. بعد وفاة "صفيّة" بسنوات، تقدّم "صدِّيق" لخطبتي، رفضته بلا أدنى تردد، ظلّت أنفاس "صفيّة" تُكبِّل أوصالي. أذكر ذلك اليوم، الذي رأيت فيه أنواراً معلقة، تُزيّن مدخل الشارع، المحاذي لبيت خالي، عرفت أن هذه الزينات لحفل زواج "صدِّيق"، بكيت كما لم أبكِ في حياتي، شعرت روح "صفية" تأسر أفكاري، تصوّرتها تتبختر في ثوبها الأبيض، "صدِّيق" يُحيط خصرها بذراعه، رنة ضحكتها تزلزل أحزاني.

يوم تخرّجي في الجامعة بكى خالي، احتواني بين ذراعيه قائلاً: لو كانت "صفيّة" حيّة لتقاسمتما فرحتكما معاً.

اجترار الذكريات يصدِّع رأسي، أُمزق شريط صورها بضراوة، أرسو بفكري على أرض واقعي، أتوقف عن الخوض في هلوسة الماضي، أهمس لأختي.. أريد القيام. ترشقني بأسهم نظراتها المحتجة.. لابد أن تقومي بواجب العزاء.. إنه خالك.. ماذا تريدين أن يقول الناس عنّا!! تدور إحدى القريبات "بدلّة" القهوة، هيئة الفناجين الصغيرة، المرصوصة فوق بعضها البعض، تُحرّك رياح تشاؤمي، لاحت لي كالرؤوس المقطوعة، توقفت المرأة أمامي، سألتني بإشارة من يدها، إن كنت أرغب في فنجان من القهوة! رفعت سبابتي بالرفض، تأففت، لم أعد أحتمل الجلوس في هذا الجو المعبأ بالانكسار، وجه الماضي يُكشِّر عن أنيابه، يغرسها في حواسي، أكفه تصفعني، هودج الذكريات يهزُّ أوجاعي، روح "صفيّة" تدنو صوبي، صوتها يعبث بأعماقي، يناديني.. "حياة".. تعالي نلعب.. أنت غشاشة.. هذا دوري.. انظري "يا حياة".. ما رأيك في ثوبي الجديد؟" أتدرين "يا حياة".. عندما أتزوج، سأنجب عشرة أبناء.. لا أريد أن يُعاني أبنائي من الوحدة.. أريد أسرة كبيرة.. هل سيخطبني "صدِّيق"، أم مازلت صغيرة على الزواج؟"

تعاود الضحك.. دوي ضحكاتها يمزقني، يملؤني وجعاً، أنتفض من مقعدي، أمرق وسط النظرات المحتجة، أمي تناديني، أختي تكرر نداءها، أتلفّح بوشاحي، الهواء الساخن يلطم قسمات وجهي، وقفت أمام بيت خالي، رفعت عينيَّ، ألقيت نظرة سريعة على مبناه المسن، لاح لي طيف خالي واقفاً عند أحد "الرواشين" المفتوحة، ملوحاً لي بالوداع، كعادته دوماً، عيناه تتضحان بالصفاء، بجانبه تقف صفيّة، بوجهها الطفولي النضر، وقد أسندت رأسها على منكبه، دمعت عيناي، أمرت السائق بالتحرّك، أيقنتُ أنّي لن أخطو عتبة هذا البيت، مرة أخرى.

* * *

عمـــــــر
طـاهـــــر
زيلـــــــع

من مواليد 1946 (السعودية). له العديد من الأعمال الأدبية. مجموعته الأولى (البيداء) تحت الطبع.

شارع الجمالة

خلعت مدرعتي القطنية المبتلة بعرقي قبل أن أطأ مدخل البيت.. حملتها في يدي ودخلت لاهثاً أشعر بالاختناق والرغبة في خلع كل ملابسي. كان سلطان الشمس في سمائها الصيفية. ضارباً أطنابه في الداخل والخارج. أحس الآن وأنا أدلج إلى البيت أن قرصها اللاهب مازال مصلتاً فوق رأسي. كل شيء في ذهني قد ذاب مع قطرات العرق المنهمرة بغزارة، ما أفكر فيه الآن يتركز حول نسمة هواء وكوب ماء بارد.

دخلت فرأيتها خارجة من العشة إلى سقيفتنا

المفتوحة من كل جوانبها، غارقة في عرقها، فقد كانت تستدبر المدخل مولية شطر السقيفة التي بدت وكأنها ستشتعل دفعة واحدة. الشمس في كل شبر من بيتنا، في تلك اللحظة الوجيزة التي لمحت فيها... زوجتي وجسدها المترجرج في رتابة وضجر. أبرقت في ذهني صورة شبابها. ما أشد ما تفعل الأيام بالأشياء!! سمعت وقع أقدامي. التفتت دون أن يبرح وجهها تعبيره المتبرم الكآبي، قلت لنفسي مبرراً: حرارة الجو هي الأقوى من كل المشاعر. وددت لو أرى ظل بسمة على ملامحها، فتحت عينيها بطريقة خاطفة وهي تضع كفها على جبينها وكأن قرص الشمس يخترقه، كانت أكثر سمرة وإيحاءً بالشيخوخة. اجتاحتني رغبة لرؤية وجهي أيضاً، لكن شعوري بالحاجة إلى الابتراد مالبث أن طغى.. لوت عنقها واستأنفت مشيتها وانحناء قوسها إلى الأمام، بشكل أوضح، لمح طيف قوامها منذ عشرين عاماً واختفى في طيات الذاكرة بأسرع من لمعة برق في ليل غابة لا نهائي.

بصرت بجرة الماء هناك في ظل العشة جافة، قد تيبس طحلبها العالق بأسفلها، محتفظاً باخضراره الآخذ في الشحوب، لا أثر لوجود ماء بداخلها، راحت عيناي تبحثان في قلق عن وعاء مملوء بالماء. كانت كل الأوعية مرمية مهملة. إذن.. لا ماء، كان لابد أن أسألها لكن تجاهلها لي

جعلني أتردد؟ سألت نفسي بسخرية، لا خصومة بيننا، لم نتشاجر منذ زمن.. فكرت ما الذي جعلها تتجاهل وجودي الآن، وقفز احتمال قوي.. نظرت إلى مدرعتي المسدلة في يدي. لا شيء غيرها هذا هو السبب، هذا هو السبب، فهتفت، يا سعدى.. همهمت ولم تبرح مكانها!!

رأيتها تنحني هناك وتلتقط شيئاً بصمت وسأم. حبست أنا أسئلتي وشرعت أبحث عن ماء في كل الأوعية، لا وجود للماء. الزير الكبير ينتصب أيسر السقيفة، جافاً مكشوفاً تحت شمس الظهيرة، تركته إلى تعريشة مكان شجرة تهاوت أوراقها الصفراء في بداية الصيف تحتها براميل طينية نملؤها بماء أقرب طعماً إلى ماء البحر، لأجسادنا وثيابنا كانت خالية تماماً. أحسست بازدياد وطأة الحر والعطش. دلفت إلى السقيفة كانت هي قد جلست على الأرض ترقع ثوباً قديماً. وجهها يرشح ماء تمسحه بطرف ذلك الثوب البالي، جلست وراءها على قعادة القيلولة.. أقول في هوادة: لا توجد قطرة!!

– قالت دون أن تحول وجهها: ولا يوجد أي شيء آخر.. أنسيت؟ تذكرت تقريرها في الصباح الباكر عن حاجات البيت الضرورية التي نفدت لا ماء، لا طعام، لا قهوة، لا.. لا.. داريت بقولي لا، لم أنس.. أجبرني الحر

على العودة أما عن الماء فلم تصل قوافله حتى الآن. كل الناس هناك في الميدان ينتظرون ومن العادة أن الأوعية لا تجف كلها على هذ االنحو. زفرت.

– ولكنها جافة كما ترى.. ثم لاذت بالصمت هبت نسمات ملأت رئتي شعرت ببعض الارتياح الجسدي، تسللت خارجاً دون كلام، سالكاً شارع الجمالة نفسه، إلى السوق، على امتداد الشارع القديمة بأسوارها المثلمة وسقوفها المفككة كئيبة مستباحة لسيوف النهار بدت غامضة منقوصة، مثل كتاب ضاعت صفحاته وبقيت دفتاه. القلعة القلعة.. القلعة هكذا يقول الناس وحسب، وفي أسفلها تحت أقدامها المتشققة يربض مستودعي الذي أعمل به حارساً منذ سنوات. أراه من هناك قزماً وطيئاً شحيحاً. رفعت مدرعتي، نفضتها، وتحسست جيبها الصغير.. أتأكد من وجود المفاتيح، ها هي لاتزال في أمان واصلت خطواتي واثقاً على شيء من الوجل. عبرت الساحة إلى صف المخازن الداكنة كانت ملاقي الحبوب السعفية مغطاة بأكياس الخيش المفرودة وعليها مثقلات من الأحجار الملساء والباعة منكمشون إلى ظلال السقائف الهابطة وقد تمدد بعضهم على الحصر، وبعضهم يروح على وجهه بمراوح من الورق الكرتون، جاوزتهم خافض الرأس

تجنباً للأحاديث الثقيلة والأسئلة عن قوافل الماء؛ لم يستوقفني أحد حتى حاذيت مقهى السوق كان صاحبه منهمكاً في غسل أكواب الشاي. رآني متباطئاً فناداني،:"هذا أنت أخيراً" تعال يا رجل!! كان جالساً في حمأة الشمس نصفه الأعلى شبه عار، وجلده الأصفر المبقع، يرتخي في طيات تحت صدره وخاصرته، حاولت إخفاء امتعاضي من أظافره المحشوة برماد الفحم وفضلات الطعام وهو يدعك بها بطون الأكواب المصفرة. إنني أرتاد هذا المقهى كثيراً. كان عطشي أقوى من هذا الإحساس المباغت تناولت إبريقاً مترعاً بماء دفأته الشمس شربت منه جرعة، والهبات البحرية جففت جسدي. نهض صاحب القهوة الضيق الطويل. كانت أبواب المنازل الواطئة مشرعة قد وقف أصحابها في أفيائها الهاربة، ينتظرون قوافل الماء في يأس متحدر مع قطرات العرق. لم أر الشمس غضبى كاليوم خيل إلي أنها تسكب شلالاً زجاجياً مغلياً. شممت من أرضية الشارع وأوراقه، ونفاياته الفقيرة رائحة اصطلاء. وعلى بعض الأبواب المشرعة عجائز لاهثات وصبايا بوجوه ملوحة يسألن: ما باله قد تأخر؟ اجتزت الكل وكأني أصم.. ورأيت امرأة طويلة بوجه منشرح كأنها خرجت للفرجة فقط، تحادث صبياً، وتشير إلى يدي المدلاة باسمه، تذكرت أنني أحمل مدرعتي، خفضت رأسي مدارياً ببسمة مغتصبة

شربت من ذلك الوجه نظرة عجلى رغم جبروت الشمس وطيف سعدى لمعت في ذهني - كومضة خاطرة حمقى: كيف تقترب الأشياء الجميلة عندما يصير المرء مجبراً على الابتعاد!؟ باغتتني حسرة إضافية ها أنذا أمشي الآن ومعي مسافة هائلة تمشي تتمدد بيني وبين أشياء كثيرة. انعطفت مجتازاً ذلك الأنبوب الساخن مفضياً إلى ساحة "المحناط" لفحتني من تلقاء البحر هبات ساخنة لكنها أرحم.

الساحة مقفرة هناك في طرفها الغربي يتناثر الناس قياماً وقعوداً ينتظرون جمال الماء. ومن ورائهم انبسط البحر رهواً ساكناً خاضعاً لسلطان الشمس كان لوحاً من الصفيح الذائب لا نهائياً، لا نأمة في سوق المحناط، وفي البعد من الجانب الأيسر نهضت القلعة متوجعاً أمسك بيدي وجرني إلى داخل المقهى جلسنا على كرسي خشن الحبال، من ورائنا كوة صغيرة غربية تلفظ بعض الأنفاس لعل النهار أخذ في الزوال.

ثرثر القهوجي في مسألة الماء والحبوب والحر، كلها مجتمعة.. لا تحتمل.. من ناحيتي وجدت راحة في الإفصاح عن خواء البيت رأيت وجه صاحبي يتماوج متهلِّلاً. سدد إلي نظرة حذرة وقال:

- ساعد نفسك يا رجل!! فتحت فمي مستوضحاً؟

بادر قائلاً بثقة: فـي وسـعك أن تجلـب لـي كميـة مـن البـن والقشر والسمسم من المستودع لن يكلفك الأمر شيئاً أليست مفاتيحه معك؟ سـيمتلىء جيبـك ويكـون لديـك كـل يـوم مـا تحتاجه من الماء من غير عنـاء. حـاصرني القهوجـي فلـم أقل شيئاً وجدت نفسي متقلاً كأن حجراً مدببـاً يغـوص فـي أعمـاقي ثـم يطفـو. وانكسـار سـعدى، وسـلوكها اللامبـالي، وقرص الشمس الممدد فوق رأسي. لم أقاوم وهو يدس في كفي شيئاً. وحينمـا شـرعت فـي الخـروج، قـال: لا تضيـع الوقت في انتظار الماء.

– عندما يأتي أكلف عميلي بإفراغ نصيب المقهـى في مواعينك، لـدي هـذا مـا يكفـي لأيـام. غـادرت المقهـى وصوت أذان الظهر يرتفع بنبرة النصيحة: (الله أكبر اللـه أكبر) كان صوت المؤذن مكتوماً ولكنه نافذاً بالغاً.

فـي الطريـق إلـى المسـتودع كنـت متراوحـاً بيـن الإقـدام والإحجـام وتعـاقبت صـورة مخدومـي صـاحب المستودع في كل حالاتها السيئة والحسنة وفكرت أنـه هـو نفسه أيضاً يبيع البضاعة القديمـة بسـعر الجديـدة ويجعلنـي شاهد زور له 'أليس كذلك (يا أمان)؟' فأجيب أنه لكذلك يا سيدي!! دِرتُ على المستودع دورتين.

كنت خائفاً من الفضيحة فقط وفي الثالثة.. اتجهـت

إلى شارع الجمالة من جديد وجدته نابضاً بالحركة. طلائع الجمال تقف قبالة الأبواب. كان منظر الجمال يلخص عطش المدينة برمتها وفكرت: كيف تقسو الشمس على هامات الساحليين. رأيت تلك المرأة الفارهة تحمل جرة ماء بعد انتزاعها عنوة من على ظهر الجمل لتحملها كطفل وعلى وجهها ذلك المعنى المرفوع منذ قليل لا أدري لماذا تصورتها أرملة أما مدرعتي فهي على جسدي هذه المرة، وعبرت شارع الجمالة متخففاً من مهمة المساومة على ماء. وفي (الميدان) كنت على عجل طفت بالدكاكين وملأت زنبيلاً كبيراً بعثته إلى البيت مع صبي أجير. هذه أول مرة أكون فيها سيداً حدثت نفسي بذلك. وركض المستودع إلى مخيلتي. تحسست جيب المدرعة واتجهت إلى البحر عبر المسطاح حتى بلغت الشاطىء. استدرت يساراً كانت حيطان البيوت على الشاطىء.

الشمس تتخلى عن جبروتها اليومي مرغمة بعد الزوال حيث تكون النسمات أنفع في الظلال درت على نصف المدينة أتلفت بين حين وآخر ومن قلبي تنطلق إلى مخيلتي ألف عين تترصدني وألف أذن مشرعات، فتهوى يمناي إلى جيب مدرعتي تتحسس العربون. عبرت بأطفال يعيثون في مياه الشاطىء الضحلة.. ورأيت صبايا يغادرن

أبوابهن الصغيرة بوجوه مشوية ووجنات راشحة إلى البحر.

يملأن أوعيتهن من مائه الأجاج الداكن وتطايرت روائح السمك المقلي بزيت السمسم من بعض البيوت الصغيرة وقلت: عسى أن تقلي سعدى السمكات التي بعثتها إليها الآن. أحسست برغبة في طعام وصارت يمناي تتشبث أكثر من ذي قبل بجيب مدرعتي المكتنز، لكني تماديت في نزهي.

عبرت الشريط الجاف بين الشاطىء ومبنى البرك و(الكنداسة) مواصلاً السير حتى موقع "القازخانة" وقد بدأت أشعر بالاختناق والإعياء فانعطفت شرقاً عبر شعب صغير يصعد إلى التلال الشرقية بصعوبة قصوى فلما بلغت قمة التل الأوسط سلكت طريق الرعاة هابطاً إلى المدينة من جنوبها مما يلي القلعة. وها أنذا أمام مستودعي الأمين أسأل نفسي لماذا أطلت المسافة إليه؟

لكني تشجعت حينما رأيت ساحة السوق والمحناط مقفرة وتبدى ذلك المقهى الكسيح في طرف الساحة الغربي هاتفاً محرضاً نافذ الصبر إنني أفتح المستودع في كل وقت ومتى أشاء.. فأي وجه، للخوف وأنا حارسه الأمين. كل الحراس يفتحون بإذن وبدون إذن فأدرت المفتاح وفتحت.

في البيت ونحن نتناول الغداء قالت زوجتي: غشوك بالسمك "سايخ والسمن مغشوش".

أما الماء الذي جاءوا به لنا كأنهم اغترفوه من البحر (والبن ماهوش بلدي) تحرك خنجر في أعماقي فانطلقت إلى المقهى أتقاضى الباقي قابلني الرجل بوجه غاضب وزمجر.

- ما الذي حملته إلي، حبوباً أم نملاً؟ وأخذ يحك جلده ثم قال وهو يستدير إلى بؤرته الموحشة.

(روح يا غشاش) عدت إلى البيت فوجدت زوجتي تحك جلدها وتشكو من النمل قلت: نمل؟ قالت جلبته معك.... رنت في أذني كلمة القهوجي من جديد..

يا غشاش.

غرقنا في الصمت ونحن نشاهد أسراب النمل تزحف في خطوط إلى شارع الجمالة واخترق صمتنا نداء حاداً من خارج دارنا: أمان يا أمان!!

* * *

محمد طلال الرشيد

من مواليد 1960 (السعودية). أصدر مجموعته الأولى خيوط الزعفران 1995. المجموعة الثانية تحت الطبع.

يوميات تطلي

دخل "تطلي" مكتبه يترجرج من عبء السمنة وجهد، تخطى العتبات الأربع التي يجب عليه تسلقها كي يصل إلى مكتبه الفخم. نسي الناس اسمه الأصلي فقد كان معروفاً بين الموظفين بـ: حضرة المدير أو، حين لا يكون على مقربة، بـ "تطلي". التسمية التي اخترعها أحد المتحذلقين في الإدارة، تصف حال المدير بقسوة الحق: صرح كبير، لين الملمس، قليل المذاق، صعب المزاج، الفارق بين تاريخ الإنتاج وتاريخ الاستهلاك قصير.. بقصر حبل الكذب أيام كان الصدق غالباً بين الناس،

وأخيراً وليس آخراً، لا تعلم ما تخفي طياته من مذاق إضافي إلا إذا كنتَ ممن حالفهم الحظ ذلك اليوم وأكلت من الطبق.

وكما تجلس خديجة (الدجاجة السوداء الكبيرة التي كانت تملكها جدتي) على بيضها وصغارها، كان تطلي يجلس على رقابنا بحنان يخنق الأنفاس.. وإن لم يخنقها تماماً فقد كان دفء أنفاسه يعطي الإنسان فكرة واضحة عن نفح جهنم التي يصفها كتاب الله الكريم على أنها موطن شجرة الزقوم.

نحن إدارة حكومية مؤلفة من حوالي خمسين موظفاً، أنا أقربهم إلى تطلي بحكم كوني سكرتيره الشخصي. أعمل معه منذ ثلاثة أعوام منذ تخرجت في الجامعة وأخفيت شهادتي كي أتمكن من الحصول على هذه الوظيفة في هذا الزمن البخيل. حين تقدمت للوظيفة أعطيتهم شهادة معهد السكرتارية التي تقول إني قادر على الطباعة بسرعة ثمانين كلمة في الدقيقة ولكنها لا تقول شيئاً عن قدرتي على الكتابة. كانت جدتي دائماً تقول: الزيادة أخت توأم للنقص. كانت صادقة. قدراتي الجامعية كانت واضحة حتى ولو لم أضع الشهادة على الحائط خلف مكتبي. هذه القدرات جذبتني إلى تطلي الكسول كما فعل

المغنطيس بفريد الأطرش في أغنية فريد الأطرش التي كان يستمع إليها صاحب الدكان اليمني في حارتنا المتواضعة طوال النهار.

أما كيف وصل تطلي إلى هذا المركز الذي جعله يقبع على أنفاسنا على طريقة خديجة فالقصة ليس فيها جديد. في يوم من الأيام كان تطلي عنواناً للرشاقة البدنية والرشاقة البلاغية ورشاقة سالومي في رقصها المحموم. تسلق جدار الترقيات الناعم الملمس كما يتسلق الصرصار جدران منزلنا القديم: مسار واضح لا جهد فيه ولا عناء ولا حتى دوار من الأماكن الشاهقة الارتفاع. وكما الصرصار، كان حجمه يزداد كلما صعد درجة أعلى حتى وصل به الحال إلى ما هو عليه اليوم. حارتنا القديمة علمتنا تفاصيل في علم الأحياء لم تستطع مناهج وزارة المعارف الرقي إلى مستواها. البيارات المفتوحة وأنهر الماء الآسن التي كانت تتساب منها علمتنا أن الصرصار يخرج من ظلمات البيارة إلى نور الشارع أشقر اللون. وكلما ارتقت به درجات النور كان حجمه يزداد ولونه يتحول إلى الأحمر حتى يصبح لونه خمرياً... وشاربيه تنافس بطولها شاربي الهلالي. وهذا حال تطلي الآن: لون خمري صارخ وحجم كبير وشاربين بلا منازع.

ومع هذا لم يبق في جعبة تطلي طموح جامح.. جُل ما يروم في هذه الدنيا الفانية أن يبقى في مكانه بعد هذا الترحال الطويل من ظلمات الفقر والضعف إلى نور المنصب والقدرة.

حين مر تطلي بمكتبي وهو في طريقه إلى مكتبه وقفت كما هي العادة. وكما هي العادة، ألقى التحية بعينيه وهو يلهث من التعب والعرق يلصف بين عينيه وخده في واد من الشحم كما وادي حنيفة حين لا يكون السيل كافياً كي يسيل الوادي.

تركته، كما هي العادة، حتى يصل مكتبه بسلام ويستريح على الكرسي الفخم ويلتقط ما كان تبعثر من أنفاسه. حين يتم كل هذا سوف يناديني وصوته يحشرج أسفاً على شباب ضاع في زحمة الأيام وترادف الشحوم على العظام.

حين وصلني صوته الخافت (درجة العلو في صوته من مقام البياتي الرقيق إلى أنغام الجوقة... العسكرية بقيادة الدكتور محمد عبدالوهاب تتغير مع تقدم ساعات النهار) دخلت عليه المكتب. قال:

- لو سمحت، هناك أغراض في السيارة ليتك تأتي بها.

تبسم بحرج مفتعل وأكمل: "صعب عليّ حملها كل هذه المسافة."

ذهبت إلى السيارة وأحضرت الظرف القابع برقة إلى جوار مقعد السائق. الورقة لا يزيد وزنها على عشرة جرامات.. ولو ذهبنا بها إلى مكتب البريد لنرسلها إلى آخر الدنيا لما طلبوا منا أكثر من ريال واحد ثمناً للطابع.. ومع هذا لم يكن غريباً علي تصرف تطلي الذي يقوم به بطريقة شبه عفوية تؤكد له مدى سلطته عليّ وعلى أمثالي. حين دخلت عليه بالظرف قال:

- أرسله مع البريد.

هذا أمر اعتدت عليه أيضاً. يرسل بريده الشخصي مع بريد الحكومة كي يوفر الريال. كنت أظن الأمر متعلقاً ببخل جارح حتى تبين لي أن إرسال البريد بهذه الطريقة علامة أخرى بالنسبة لتطلي تؤكد له مدى سطوته في دهاليز السلطة.

أحضرت له البريد ووضعته أمامه. لم ينظر إليه. قال:

- هل هناك شيء مهم؟

الجواب على هذا السؤال صعب ويتطلب القدرة

على معرفة ما يدور في عقل تطلي في تلك اللحظة: ما قد يكون مهماً اليوم لابد وأنه سيتغير غداً. أما العنصر الثابت في ملفات تطلي فهو عنصر الفائدة الشخصية. مادام هناك فائدة له شخصياً في أمر ما، فهو مهم بلا شك. بناء على هذه المعادلة الرقيقة، أعطيت له الجواب بالنفي.

تجاهل العلامات المدفونة في الدفتر الذي نسميه جزافاً: البريد.

رن جرس التليفون فأشار إلي بعينيه كي ألتقط سماعة الجهاز المزعج. الصوت الجهوري في السماعة أعلن عن اسمه. وضعت يدي على السماعة وقلت:

- السيد محمد بن محمد بن محمد.

مد يده المنتفخة فوضعت السماعة بحنان في الراحة التي تشبه قفا الطفل في إعلانات الحفاظات التي نراها كل يوم على شاشة التليفزيون.

بدأ الحديث مع السيد محمد وهو صديق غير حميم لتطلي لكنه وكيل وزارة. وفي ذلك الكثير من الصحبة والود. قال تطلي:

- أبداً والله.. لم أشاهد مسابقة ملكة جمال البطيخ البارحة. لم أفتح التليفزيون على القنوات اللبنانية بتاتاً. من

فاز؟ ولكن جبل صنين لا ينبت فيه البطيخ.. ما علينا.. كيف شكلها؟

بدأ اللعاب يتكوم في فم تطلي وهو يستمع عبر الهاتف لوصف مفصل عن ملكة جمال البطيخ اللبنانية. كنت أراقب شفته وهي ترتعش حتى بدأ اللعاب يسيل بخجل. شهق وقال:

* كفاية يا رجل.. نعم أرسل لي الفيديو. سوف أتفرج عليه الليلة... تفاهمت مع الرجل ووافق على العرض. معاملة من؟ والله لم تمر عليّ هذه المعاملة. على كل حال ليس لدينا وظائف في الوقت الحاضر.. نعم لدينا أجانب.. حاضر.. والله فكرة. ولكن صدقني يا محمد واحلف لك بالله العلي العظيم لم أر المعاملة.

كان صادقاً في قسمه. لم ير دفتر البريد منذ خمسة أيام. فهمت من الكلام الذي سمعته أن أحد الهنود العاملين في قسم الترجمة سوف يعود إلى بلاده وسيأتي مكانه موظف لا يعرف العربية فما بالك بالإنجليزية. مددت يدي إلى دفتر البريد وأخرجت المعاملة المطلوبة ووضعتها أمامه. حين أنهى المكالمة نظر إليها وكأنه كان يتوقع أن تمثل بين يديه دون سؤال.

قال تطلي:

- اطلب لي مختار.

مختار هذا أحد المديرين العاملين تحت قيادة تطلي الرشيدة. طلبت الرقم وحين رد مختار أخذ تطلي الساعة وقال:

- أنت موجود يا مختار؟

لم أسمع الجواب ولكن تطلي أكمل قائلاً: "ممتاز سأتصل بك بعد قليل".

انتهت المكالمة.

تعلمت في المدرسة أن حرف العلة يحذف في بعض الحالات. كما أن الجزم يحذف الحركات ويستبدلها بالسكون. ووددت لو أن هذه القاعدة الجميلة تطبق في مكاتبنا.

نظر إلى المعاملة التي أقسم بالله أنه لم يرها من قبل. كتب عليها وبالحرف:

سعادة المدير العام: تمشياً مع سياسة السعودة الرشيدة والتي من أهدافها النبيلة توفير الوظائف لأبنائنا، نقترح عدم تجديد عقد الموظف خان خان آل خان وتوظيف المذكور.

أعطاني الورقة وطلب مني أن أبعثها حالاً وبدون تأخير.

حملت المعاملة وخرجت من مكتبه وأنا على يقين بأننا سوف ندفع ثمن هذا التصرف غالياً. أنا لا أحب خان هذا، ولكنه الوحيد لدينا القادر على التعامل مع الخطابات الواردة لنا بالإنجليزي. لغتي الإنجليزية مبعثرة، ولغة الوافد إلينا معدومة حسب المعلومات الواردة في المعاملة، أما لغة تطلي الإنجليزية فإنها ممتازة إذا كان الأمر يتعلق بشكل أو بآخر بالنشاطات الليلية، أما ما تعدى ذلك، فتطلي مثلنا في النقص الصارخ.

أيام تطلي وأسابيعه في المكتب جميعها بحسبان. قد يحضر ذات يوم في الساعة السابعة وفي أيام أخر لا نراه قبل آذان الظهر، وهناك طبعاً الأيام التي لا نراه فيها أبداً. هذه الأخيرة تنقسم إلى نوعين: الأول حين لا نراه ولكننا نسمع صوته على التليفون كل ساعة تقريباً. يسأل عن هذا ويستفسر عن ذاك. النوع الثاني، وهو المحبب إلينا، حين يسافر فلا نراه ولا نسمع صوته حتى يعود إلينا غير مرغوب فيه.

هناك يوم في كل شهر يكون تطلي موجوداً في المكتب منذ الصباح الباكر. حتى حين يرحل تطلي في

إجازة فإنه يذهب في نهاية ذلك اليوم ويعود من الإجازة قبل حلوله مرة أخرى. هذا اليوم هو يوم استلام الرواتب. في الأول من كل شهر، يحضر تطلي إلى المكتب منذ الساعة السابعة.. مباشراً الدوام قبل بدء الدوام ولا يرحل إلا بعد انتهاء الدوام بنصف ساعة.

قد يظن البعض أن الأمر واضح حيث يستلم تطلي راتبه في هذا اليوم مثل بقية الخلق.. ولكن الأمر ليس كذلك. تطلي لا يستلم راتبه باليد حيث إنه يتم إيداع راتبه في حسابه في البنك مباشرة. جل ما يحصل عليه هو كعب الشيك لا أكثر ولا أقل.

المعتاد في الدوائر مثل إدارتنا أن تأتي الشيكات قرب نهاية اليوم الأول من كل شهر مرفقة بلائحة الأسماء. يقوم السكرتير بتوزيع الشيكات ويوقع المستلم بجوار اسمه مؤكداً ذلك. للأسف، هذا ما يحصل في جميع الدوائر ماعدا إدارتنا. في ذلك اليوم (مثل يومنا هذا) تبدأ مسرحية قوامها موظفين لا حول لهم ولا قوة وبطولة مطلقة لتطلي لا ينازعه فيها منازع.

كنت أعلم ما يخفيه يومنا ذلك من أحداث لأنني عشتها على مدى شهور عديدة. لم يكن في يدي سوى الاستسلام غير المشروط للحكم الصادر بحقنا جميعاً.

المشكلة الكبرى بالنسبة لي هي قدرة ساعات ذلك النهار بالذات على الزحف الممل وكأن اليوم أصبح شهراً كاملاً. كلما مرت عقارب الساعة من بعضها عند الثانية عشرة، كلما انتفخ تطلي بمقدار قنطار ونصف وكأنه ذلك النوع من الضفادع الذي يزداد حجماً كلما ازدادت هرمونات الشهوة لديه. المشكلة في تطلي وفي الضفدع المذكور أنهما لا يصلان حد الانفجار. كان ينتظر الشيكات بفارغ الصبر والساعة لم تصل بعد العاشرة صباحاً. بقي ما لا يقل عن أربع ساعات قبل وصول الشيكات! معظم الهواء الساخن الذي يتكوم في جسده من جراء هذا الانتظار يجد متنفساً في الموظفين. وإن لم يكن هناك موظف أحمق ليدخل مكتب تطلي في مثل هذا اليوم، فإن معظم الهواء الساخن يخرج عليَّ أنا. صبر جميل والله المستعان.

في حدود الواحدة والنصف بدأ الموظفون بالتجمع حول مكتبي بانتظار الفرج. على الوجوه رغبة الترقب لمستحقاتهم تعلوها رهبة المواجهة مع الغول في الداخل. على غير عادة المديرين، كان تطلي يسلم الشيكات بنفسه لكل موظف. يدخلون عليه وحداناً وليس زرافات ويستمعون لما يريد أن يقول ثم يستلمون الشيك بعد التوقيع على ذلك.

أخيراً وصلت الشيكات وبدأت المسرحية.

أدخلت الشيكات والورقة المصاحبة لها إليه وقد غص مكتبي بالموظفين. كنت أقف بالباب حاجباً أدخل على تطلي كل من ورد اسمه على لسان المدير. لم يكن تطلي يتبع نظاماً معيناً باختيار الأسماء. أحياناً أظن أنه يبدأ بالذين لا يحبهم كثيراً، ثم يرتقي إلى الذين لا يكرههم كثيراً، وأخيراً يقف عند المعذبين في الأرض الذين يكن لهم المودة التي يكنها إبليس للبشر. آخر من يستلم الشيك هو أنا وفي هذا نوع من العدل حيث أن المبلغ الذي يحتويه هو أصغر مبلغ في مجموعة الشيكات تلك.

ظن البعض أنهم إذا أحالوا رواتبهم إلى البنك مباشرة فإنهم ناجون من هلاك تطلي. ولكن هيهات! أصدر تطلي قراراً يأمر فيه الجميع بالمثول أمامه في اليوم الموعود سواء كان لهم شيك بكعب أو كعب من غير شيك. حصيلة هذا الجهد المبعثر أن هؤلاء الأشقياء كانوا ينتظرون ثلاثة أيام على الأقل حتى يتم إيداع رواتبهم في البنك.

جلس تطلي منتفخاً وأنا أقف بالباب والموظفون بالخارج. كنا ننتظر الإشارة بالبدء. تطلي رجل باله طويل. أخذ ينظر في الأوراق ملياً. في تلك اللحظة قرر

أن ينظر في دفتر البريد القابع أمامه منذ الصباح الباكر ينتظر الفرج. بدأت المعاملات تنساب تحت أنامله برقة العازف الحنون. كان قلمه يسافر على الأوراق كما يسافر الشاعر مع الخلجات والآهات. لم أسمع سوى صوت أنفاسه المترادفة بحنان وعذوبة. مرت الدقائق ثقيلة وقارب الدوام على الانتهاء، وتطلي منهمك بالعمل لا يرفع رأسه ولا يتردد. أخيراً أقفل الدفتر وتنفس الصعداء من عناء العمل، وقال بصوت خافت:

- بشير.

بشير الساعي كان أول المحظوظين. فتحت الباب لأنادي بشير فلفحني السموم المتجمع من أفواه المساكين الذين ينتظرون أجر عملهم وقد جف عرقهم منذ أيام.

دخل بشير بخوف ورهبة ومشى محنياً إلى مكتب السلطة. كان بشير يدخل ويخرج من المكتب طوال النهار يقدم الشاي ويجيب الطلبات، ولكن دخوله في تلك اللحظة كان مثل دخول العروس في الزفة: هيصة لا يعرف أحد معناها سوى الحماة التي تطلب فرحاً بالعصفور الذي دخل الفخ.

لم يرفع تطلي رأسه حين بدأ الحديث، بل كان ينظر في الشيكات وكأنه يبحث عن شيك بشير. قال:

- اسمع يا بشير: كما نخاف الله فيك وفي أبنائك العشرة، يجب أن تخاف الله في مال الدولة. الشاي الذي كان يكفينا شهر أصبح يكفينا عشرين يوماً. هذا غير معقول.

قال بشير:

- يا حضرة المدير، الشاي لا تدفعه الدولة. الشاي نأخذ فلوسه من الموظفين كل شهر.

- لا تقاطعني.

- حاضر.

- قلت لك إن الأمر أمانة. إذا لم تعدل تصرفاتك سوف نحسم منك في الشهر القادم.

- يا سعادة المدير. حين كانت الدولة تدفع قيمة الشاي كنت قادراً على ردع الناس عن الاستهلاك المتواصل. أما وإنهم يدفعون قيمته فأنا لا أستطيع...

- قلت لك لا تقاطعني. هذه المرة سماح. وقِّع هنا.

وقَّع بشير وأخذ شيكه وانسحب. ولكنه وقبل أن يخرج التفت إلى تطلي وقال:

- لي طلب يا سعادة المدير.

- قل ولا تكثر.

- ليت أنكم تكتبون مذكرة إلى الجميع بهذا الشأن.

- فكرة لا بأس بها.

- نظر إليَّ وقال: "اكتب مذكرة بهذا الموضوع وسأوقِّعها غداً."

خرج بشير ودخل أحمد. أحمد هذا موظف في الأرشيف يتحذلق للمدير بدرجة تجعل أكبر المنافقين في حالة غثيان متواصلة. دخل مبتسماً وكأنه بلغ حدود الكمال. نظر إليه تطلي طويلاً ثم قال:

- لا داعي لهذه الابتسامة السخيفة.

- خير إن شاء الله يا سعادة المدير.

- أنا لا أحب الذي يعد ولا يفي.

- ولا أنا.

- إذاً أين وايت المويه؟

- أرسلته إلى الاستراحة يوم الجمعة.

- لم يصل شيء يوم الجمعة والزرع مات.

- غير معقول.

- معقول جداً يا أستاذ أحمد يا بايخ.

- عفواً سيدي...

- وقِّع هنا وارحل عن وجهي.

- سيكون الوايت عندك اليوم.

- اثنين: وايت هذا الأسبوع ووايت الأسبوع الفائت.

- حاضر سيدي.

والد أحمد هذا يملك وايت، كما التسمية المحلية، يتكسب منه الرزق ويعيش عليه. الوايت هذا ينقل الماء الآسن، أو الماء المعالج الذي يستخدم لسقي الزرع فقط. المشوار لا يكلف كثيراً، ريالات بسيطة، ولكنه يسقي الزرع... تطلي يمتلك استراحة بها من الطيور والحيوانات ما يعجز اللسان عن وصفه. طاووس واحد من مزرعة تطلي قد يكلف أكثر من وايت والد أحمد، ولكن تطلي يعمل بالمثل القائل: شيء ببلاش، ربحه بين.. بالمحلي.

دخل طراد العوفي.. طراد العوفي هذا من الشمال ولا يحب أحد أن يناديه إلا باسمه الكامل: طراد العوفي.

حتى تطلي يخشى لسبب أو لآخر أن يقول طراد فقط. كنا نشعر بأننا لو قلنا طراد فقط لأخرج طراد العوفي مسدساً وأردى المذنب قتيلاً. كان لذلك من اللذة الشيء العجيب حيث رأينا على يد طراد العوفي تطلي يتعامل معه مثلنا تماماً.

قال تطلي:

- تعال يا طراد يا عوفي.
- سم طال عمرك.
- السم هذا لا مجال له هنا.
- سم هذه يا حضرة المدير من السمع والطاعة.
- نريد الطاعة ولا نريد السم.
- لا تخاف طويل العمر.. حنا رجالها.
- هذه هي المشكلة.. ما علينا.. تعال وقِّع هنا.
- كثر خيرك.
- ليتني أستطيع أن أقول لك هذا الكلام.
- ليه خير يا طويل العمر؟
- وعدتني بالسمن البلدي ولم تف.

- تقصد الدهن البري.

- مهما كان الاسم...

- والله يا طويل العمر وما لك علي حلف.. ماخليت أحد ما جيته.. ربعنا ما عندهم.. والربيع هالسنة ردي.. درت شمر كلها، والرولة وأهل الشمال كلهم.. حتى الحويطات.. أدور لك على الدهن والإقط بس مالقيت اللي يبيض الوجه.

- السمن يكفي.. الإقط هذا ما له لزوم...

- ما تعرفون له.. تعال يوم اعزمك على الغداء واطبخ لك خروفاً عليه..

- شكراً يا أحمد..

- من أحمد؟

- آسف قصدي طراد العوفي.

خرج طراد ودخل شوقي المصري. قال شوقي:

- إزيَّك يا باشا؟

- زي الزفت والحمد لله.

- ليه.. خير إن شاء الله؟

- يجي الخير منين بعد المصيبة اللي حصلت.

- معليش يافندم...

- المهم مش عايز فضايح المرة الجاية.

- حاضر. المرة الجاية في العجمي إن شاء الله.

خرج شوقي ودخل مجاهد. مجاهد هذا أمر محير: لا هو سفينة فترسي ولا طائرة فتحط. هو من النوع الذي يزعج تطلي لأنه لا يعلم ما وراءه. تحليلي لخروج اسمه مبكراً بين الناس أن تطلي كان يحتاج لنوع من الصمت لكي يلتقط أنفاسه. ومجاهد بالنسبة لتطلي لا يحتاج لجهاد. وقَّع مجاهد على الورقة وقبل أن يخرج قال:

- شكراً.

نظر إليه تطلي طويلاً وكأنه يريد أن يكلمه. وقف مجاهد ينتظر أمر الانصراف. قال تطلي:

- أنت قصير يا مجاهد.

- سأعمل ما في وسعي كي أزداد طولاً.

- متحذلق.

- أبداً يا سعادة المدير.. مجرد محاولة لكسب الرضا.

- لا أقصد خلق الله لك ولكنك تلبس ثوباً قصيراً يبدو أكبر من قدمك بكثير. المنظر ليس جميلاً وخصوصاً أنك تعمل في الاستقبال.

- اسمح لي يا حضرة المدير أن أقول إن منظري من الخصر وتحت لا علاقة له بعملي. أنا أجلس خلف كاونتر. ما يراه الناس هو صدري العامر ووجهي فقط...

- تأخرنا.. ابعث لي بممدوح.

لم أقل شيئاً. كلف تطلي مجاهد أن ينادي ممدوحاً. دخل ممدوح.

قال ممدوح:

- يا حضرة المدير أنا لا شيك لي. والكعب ممكن أن ينتظر حتى الغد...

- لن أعود لتفسير هذه القصة من جديد.. مليون مرة قلت لكم إن الأمر أمانة..

- ومليون مرة قلت لك إن الأمانة لم يطلب وفاؤها بعد.

- احفظ أدبك يا ممدوح..

- أدبي لم أتخطاه في يوم من الأيام.

- في كل شهر لنا هذا الجدل.

- وفي كل شهر لك هذا المشهد.

- وقِّع هنا.

وقَّع ممدوح واستدار خارجاً. قال تطلي:

- كعب الشيك..

- هو لك.

- تعال هنا!

- لن أستلم منك شيئاً. لقد وقعت على الأمانة كما تريد وانتهى الأمر.

خرج ممدوح غاضباً.. وجلس تطلي حاقداً.

كنت على الباب وفجأة وجدت نفسي ممرضاً. افتعل تطلي نوبة غضب (كريزة بالتعبير المحلي وغير المحلي) وأخذ ينفث من صدره سحاب مثل سحاب الأمطار الموسمية. هرعت إليه وأخذت بالضغط على صدره العامر.

كان الوضع واضحاً بالنسبة للجميع. أخذ الموظفون بالانحسار والرحيل. لقد رأوا هذا المشهد مرات عديدة والدفع سينتظر إلى الغد، إذا حضر تطلي.

كان تطلي يعتقد أن تصرفه هذا سيجعل اللوم على ممدوح ولكن الكل كان عالماً بما يجري.

عملت جهدي لتحصين تطلي في سيارته، وأرسلته إلى بيته محملاً بالدعاء: أن لا نراه بعد اليوم.

عدتُ إلى المكتب وجمعت الشيكات وذهبت مع الموظفين إلى مركز التصوير الذي نتعامل معه دوماً وصورنا الشيكات بطريقة لا تقبل الجدل من ناحية التزوير وأعطيت كل ذي حق حقه. بعد ثلاثة أيام. حين يعود إلينا تطلي، لن يعرف الفرق. عندها، سيقوم الجميع كالعادة بإكمال فصول المسرحية، ولكن المال سيكون عند أصحابه.

وهكذا انتهى يومنا هذا، وإلى يوم آخر.

* * *

محمد القعود

من مواليد 1965 (اليمن)، شاعر مجموعته القصصية الأولى تحت الطبع.

أقاصيص

القناص

ربت على كتفيه المرصع ببصمات الولاء. قال له، وهو يرمقه بزهو قديم:

- "برافو".. "برافو" لقد جسدت لي إخلاصك وحزت على مراتب ثقتي كلها. لقد برهنت على أنك درعي الذي يرد عني أنياب المكائد!

وبصوت امتزج فيه الولاء بالامتنان، أجابه ظله الدائم:

- عفواً سيدي.. لم أود غير واجبي.

وكمن يحاول استعراض مصداقية تفانيه أردف قائلاً:

- لقد رأيته يقترب محاولاً أن يخدش صمتك الثمين. فأسرعت نحوه مصوباً فوهة ولائي فخرّ صريعاً مضرجاً بتغريده..!!

وعبرا من فوق جثة العصفور الذي أفرد جناحيه ومدهما.. جناحاً يحتضن الأرض وجناحاً متجهاً نحو السماء...

الضدان

تحولا فجأة إلى خندق النميمة وحشد الضغينة واتقان الأفخاخ وتجييش العثرات واقتناص الثغرات إلى شخص بوجهين.. وجه جدره حمل كل العصور ووجه أحرقته الأنانية..!!

تلاحما بقشور من المودة، بعد أن أدركا أن صفقة تثقب الضمير، تحتاج لثرثرة الأول وسذاجة الثاني.

وعلى غفلة الثاني تسلق الأول نحو الهاوية.

الغريب

جاء من حافة المجهول.. خطاه تجرده دونما رغبة منه، جلس بجوار مقعدي وبإشارة سريعة من يده طلب فنجاناً من الشاي.

أشعل سيجارة وعبّ دخانها بنفس طويل. وبشراهة مقززة. تراخى جسده على المقعد، إلا من يد تتناوب في تجرع الشاي وتدخين السيجارة. ويد أمسكت بصحيفة.

ظل لساعة وهو غائر في شروده العميق، غرابته وصمته حرضا فضولي لكي أحدق فيه..؟!

وجدت ملامحه وتقاطيعه يحتلها الأسى والذهول، وبقية هيأته ترتدي حلة من الغرابة.

فجأة عاد من بحور شروده فلمحني وأنا أحدق فيه بنظرة ساخرة بقتامتها..!!

هب واقفاً وبوجه آخر.. وجه تتلألأ منه تعابير الخشوع..

ظل للحظات في وقفته المسورة بالصمت، محدقاً بالجريدة التي تركها على الطاولة.

طوى صمته، ومضى بخطى كسيرة محدثاً نفسه بصوت خافت:

- لماذا يذهب الشهداء ولا تزهر خطاهم..؟؟!!

جحود

يأتي بلا وجه

.. بلا صوت

يجتر مقعد من ساحة تمضغ أطراف الغياب.

يقابلني.. وبي يحدث.. ثم يصلب تحديقه..

- من أنت..؟!

كان السؤال مني والصمت رده...؟!

نهض ومضى.. وقبل أن يلفه المجهول. التفت نحوي وقال هازئاً:

- ألم تعرفني يا جاحد؟!

أنا ماضيك الهارب!!

مستقبل

حفظنا - بكل وله - ملامحه.

همسنا لصمتنا بشماتة:

غداً أيها المسرب قنوطه فينا - نصافح أنامل المستقبل الدافئة. الناعمة..

"غداً.. وغداً.. وغداً..".

على إيقاع المودة تقدمنا نحو صديقنا المفوه - الذي اقتحمنا بأقواله ونكهة صوته - وحملناه فوق الأكتاف بكل زهو، تعبيراً عن الانتماء والوفاء..!!

ما إن بدأت أقدامنا تنهب الطريق، حتى شعرنا بأن بللاً ساخناً ينصب على أجسادنا..!!

عندما توقفنا سمعنا صوته المختلط مع إيقاع البلل يأتينا مترنماً:

تقدموا تقدموا..

تقدموا.. مبروك عليكم المستقبل..!!

* * *

صالحة السروجي

السعودية. صدر لها وكان حلماً (1995) مجموعتها الثانية تحت الطبع.

تل الرماد

قبل خمس وعشرين سنة، كانت نظراته ذات معنى، أحس بها تخترق غطاء وجهي الرقيق الذي كنت حديثة العهد به. فسنوات الطفولة بدأت تتلاشى يوم قالت أمي:

آن الأوان لأن تغطي وجهك عن الغرباء، فقد بلغتِ.

كان قلبي الطفولي الذي بدأ يساير تفتح الجسد، يدق كلما التقت عيناه بعيني مخترقة الصفوف الثلاثة من الركاب، لتصل إلي وأنا أجلس في الخلف.

كان أبي يجلس في المقدمة بجواره، ونحن في طريقنا من جدة إلى مكة المكرمة.

لم يكن أبي يعلم ما يدور حوله، بل لم يكن يعلم أن طفلته قد خفق قلبها زهواً لأنها وجدت من يعجب بها رغم احتجابها خلف الغطاء، وأخذت تبني في الخيال قصوراً أولى عتباتها الاعجاب ثم الحب.

وقتها لم أكن أتخيل موقفي لو أن أبي اكتشف ذلك، حديث العيون يفضح أحياناً.

اليوم بعد كل تلك السنوات، مازالت نظراته مصوبة نحوي، أو هكذا ظننتها.

ابني الصغير كان يجلس إلى جواري، أحسست بنفس الشعور يوم كان أبي يجلس إلى جواره في الطريق من جدة إلى مكة.

فجأة اتسعت حدقتا عينيه، وازدادت نظراته حدة، كدت أخشى أن تتسلط عليّ أعين الركاب في الحافلة، من جراء تلك النظرات الجريئة، اشتعلت عاصفة بداخلي، أتراني مازلت مرغوبة وجدتني أبادله النظرات هذه المرة بجرأة موازية، من خلف زجاج المرآة.

هدأت العاصفة عندما سمعته "يزعق" بلكنة شبه عربية في الولد الجالس خلفي تماماً، محذراً إياه أن يفتح النافذة، ويخرج رأسه والحافلة تسير.

* * *

فوزية العيوني

(السعودية) نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات. تعد لطباعة مجموعتها الأولى.

الرأس

لم تعد مرتباتنا تكفي مصروفاتنا، ولا متطلبات الصغار التي لا تنتهي؛ تردد زوجتي هذا الكلام حين يزداد تأففها في العشر الأواخر من كل شهر، ثم ينصب غيظها علي فتصفني بالاستهلاكي الكبير.

(مالي أنا وهذه التفاصيل، أراد المسؤول أن يقاطعه) لكنه أشار بيديه: لحظة يا سيدي.. لحظة دعني أكمل لك الحكاية.

كل عام أعدها بسفرة ما؛ فنقوم بحجز التذاكر، ونهيء النفوس لاستجمام لائق؛ وحين يحل موعد شرائها، نلغي الحجز لأن ظرفاً مالياً طارئاً حلّ بنا.

عموماً، هذه المرة خططت فعلياً للسفر، ولن يحول بيني وبينه أي حائل.

عبر الفاكس اشتريت التذاكر وأكدت الحجز، وعبر الهاتف طلبنا الغداء فجاء سخياً وطازجاً، وحين.. تستاء زوجتي من طريقة تعاملي مع الحياة، أؤكد لها أنه عصر الخدمات!.

قاطعه المسؤول بحدّة: ما هذه الثرثرة؟ أجابه بهدوء.. أرجو أن تسمعني إلى النهاية يا سيدي.

حين وجدت أنني أحتاج لصور فوتوغرافية للجواز، حلقت ذقني وسويت "غترتي" ثم لمعت نظارتي... فتحت الباب فجثم علي بخار بحر ميت، ارتعدت له نظارتي، فقفلت راجعاً وأقسمت ألا أخرج هذا اليوم من البيت.

ثم تخيلت لو أن هنالك مؤسسة "خدماتية" تقدم خدمة السفر بالإنابة فأكون في مكانين في آن واحد، ولأنه – للأسف – لا وجود لهذه الخدمة راودتني فكرة معقولة جداً؛ فإما أن يحضر المصور إلى بيتي أو أرسل وجهي له.

هذا ما حدث يا سيدي حين أعرب السائق عن سروره لتقديم هذه الخدمة؛ خلع رأسي واحتضنه بأبوة رحيمة طيلة ساعة من الزمن غابها.. أحسست برغبة بحك رأسي لكن يدي لم تجد هناك سوى رقبة منتظرة، مد السائق يده وحك رأسي بنعومة فائقة!

عاد وجهي بست صور صغيرة.. والله يا سيدي لم يرض وجهي عن وجهي ولكني استسلمت للوضع.

حاول السائق أن يعيد ترتيب وضعي، ومضت ساعات قبل أن يتمكن من إعادة هذا الشيء إلى مكانه، لم يستطع فعل ذلك إلا بالشكل الذي ترونني عليه الآن.

تجمهر الناس حول رأس المسؤول الذي فرت منه الأسئلة وتحولت الدهشة إلى عقدة في لسانه، وهو يجبر نفسه على مواصلة الاستماع.

ولكن ما يهمكم أنتم إن كان وجهي أمامي أو كان خلفي، أليست الصور مطابقة لرسمي؟ أوليس هذا هو شرطكم للعبور؟

أشكر لكم قلوبكم الطيبة: أنتم منزعجون من أجلي! لا تنزعجوا أنا أستطيع أن أنام بشكل أفضل الآن، فقبل هذه الحادثة لم أكن أستطيع النوم إلا على بطني؛ وكنت أختنق دوماً.. الآن صرت أستمتع بالنوم أكثر، ثم أني لم أتعطل عن الشرب أو الأكل، أو التمرحض، وعموما فإني لن أعدم ممن سيقدم لي هذه الخدمات لو اضطررت لذلك؛

الأهم من ذلك أني لم أعد أخاف من الوشاية، فلا أحد يستطيع الآن التحدث من وراء ظهري، ولن يغافلني أحد بخنجر في الظهر ولا رصاصة في القلب؛ إذ لا أحد

يعلم مكان هذا من هذا، ثم أني لا أعاني من مشكلة في السير؛ فكل الناس يعتقدون أنهم يسيرون إلى الأمام وأنتم - كما أعتقد - تعلمون حقيقة الأمر...

تأفف المسؤول، لكنه - ورغم ذلك - استمر: حسناً.. حسناً يا سيدي، إذا كان شكلي مستغرباً فلا عليك إذْ ما أسرع أن يعتاد الناس الغرائب، ولو فتشتم في كل إنسان لوجدتم حتماً ما يفجعكم.

جلس على أقرب كرسي وكأن أحداً أذن له، ومتأملاً استطرد: إن كان هنالك ما يقلقني فعلاً فهو كيف سأنظر للمستقبل الذي يقولون إنه أمامك وأنه باسم، ثم صوب نظراته للمسؤول قائلاً وهذه مسألة فيما أظن ليس لها علاقة بما أملكه من حق بالسفر.

ملّ المسؤول الاستماع إلى مرافعته وقال له بصوت حازم؛ لا يمكنك السفر بهذه الصفة.

هبّ واقفاً ودار الجسد حول نفسه مرتين ليواجه المسؤول الذي كان قد غادر مكانه... حاول التأفف فلم يجد أمامه إلا السائق، وبإشارة صغيرة أقبل السائق الشهم إليه وانتزع الرأس بخفة حمله صاحبه وقفل راجعاً إلى بيته حيث وضعه في الثلاجة ونام.

* * *

بــــــدر
أبـــو رقبــــة

من مواليد 1971 (الكويت). يعد لإصدار مجموعتــه القصصيــة الأولى.

تجاعيد

الكبر يخط ملامحه على خديها.. والجليد يبدأ زحفه الأبيض على مساحة ليست بالصغيرة من رأسها.. ثمة سلك معدني يضايقها تمنت لو لم تثبت به أسنانها العتيقة.. جسدها النحيل تلتف حوله عباءة مغبرة برائحة الماضي.. تحمل بيدها "بقشة" مليئة بأوهام بيضاء وخرافات تشبه الأمل تنتظرها عيون نساء الحي.. الطريق إلى بيتها تبدو طويلة ومتعبة.. خطواتها المثقلة تزيد من تأففها وتذمرها من هذا الجو الحار الملبد بـ "الطوز" الأصفر.. تجوب "السكك" الضيقة لتصل إلى بيتها الطيني

الصغير المختبىء بين جمع من البنايات الشاهقة.. تدخله بهدوء.. تنشغل بترتيبه.. تدلف إلى المطبخ.. تعد الغداء لأبنائها العاطلين عن العمل.. تتذمر من عبثهم.. وتنزعج من فوضويتهم اللامحدودة.. تتبعث رائحة "المكبوس" في أرجاء المنزل.. أنوف الأبناء. تستيقظ على صوتها المتقطع..

- الحقوا.. الأكل قبل ما يبرد!

خروج جماعي غير متوقع.. طابور يستقبلها بلهفة.. واحد تلو الآخر.. الكبير ثم الصغير.. تصطنع ابتسامة جافة على شفتيها.. يقطعها اعتذار أصغرهم..

تغديت بـ "البيتزا"!

لم تنتبه لقوله.. ولكنها أحست بالشبع يتطاير من عينيه..

- المهم أنك أكلت..

تعود إلى حجرتها تبحث عن الراحة فيها.. ترمي بتعبها على سرير خشبي يهتز باهتزاز دقات قلبها الموهنة.. تخرج وريقة مهترئة من جيبها.. تتصفح فيها حسابات اليوم..

- أم سعد عليها ثلاثة.. وأم خالد باقي عليها أربعة ونص.. و.. و..!!

تلمح مرآة كانت قد وضعتها قبل فترة وجيزة على الرف الحديدي الذي يرقد بجانبها، تقفز إليها مشدوهة.. تشعر بخفة قدميها ورأسها!.. تمسك المرآة بحذر.. تقف أمامها بوجل.. تتلمس خديها برفق.. تتحسس تضاريس وجهها الأملس.. تحاول أن تنتزع تلك التجاعيد المرتسمة على وجنتيها.. ثمة تجاعيد أخرى تعشش في قلبها.. تحيله إلى رماد.. وإلى فتات.. تلقي بالمرآة جانباً.. تسمع وقع تحطمها.. تتذكر مرآة الصبا التي كانت تخفيها عن أعين أشقائها الذكور حينما تفجرت ملامح الأنوثة بداخلها لأول مرة..

- هل يصلح العطار ما أفسد الدهر!؟

تمتمت ذلك بصمت.. وخرجت لتودع الشمس التي لملمت خيوطها الذهبية بهدوء سافر معلنة إطلالة أول شفق غروبي سينسيها تجاعيد النهار.. وتجاعيد الأمس..!!.

* * *

خالد العوض

(السعودية) نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات. يعد لإصدار مجموعته الأولى.

الحلم والواقع

دخل رجل يحمل حقيبة ومعه امرأة فندقاً يقع في قلب الرياض. اتجها إلى الاستقبال حيث وضع الرجل حقيبته وخلفه المرأة وقال لموظف الاستقبال:

– "السلام عليكم."

– "عليكم السلام."

– "هل لديكم غرف؟"

– "نعم. ماذا تريد؟"

– "أريد غرفة مزدوجة، لو سمحت!"

– "حسناً. كم يوماً ستمكث معنا؟"

- "ليس طويلاً. نريد الغرفة لبضع ساعات فقط، لأننا سنذهب إلى المطار حيث سنسافر هذا المساء."

- "لكنني مضطر لاحتساب أجرة يوم كامل مهما كان مكوثكما قصيراً. هذا هو القانون."

- "لا يهم. نحن متعبون ونريد فقط أن ننام."

- "هلا أعطيتني اثباتك الشخصي؟"

- "نعم. تفضل!"

- "عفوا! نحن بحاجة إلى بطاقة العائلة وليس إلى هذه البطاقة!"

- "نعم، نعم. تفضل!"

أخذ موظف الاستقبال يكتب البيانات بينما نظر الرجل إلى المرأة خلفه دون أن يكلما بعضهما البعض.

مشى عامل الفندق أمامهما حاملاً حقيبة الرجل حيث أرشدهما إلى غرفتهما في الدور الثاني. بعد أن أغلق عامل الفندق باب غرفتهما خلفه، جلست المرأة على سرير الغرفة المزدوج. نظرت إلى السرير حيث انتشرت على الفراش بعض البقع الداكنة والتي امتدت أيضاً إلى الأريكة وبعض زوايا الغرفة. نزع الرجل عقاله وشماغه ووضعهما على الحامل واتجه صوب النافذة وفتح ستائرها. ألقى نظرة

على الشارع والذي بدا خالياً من المارة. كان الجو في الرياض مكفهراً حيث تلبدت السماء بغيوم سوداء من دون أن تنزل أية قطرة ماء.

- "هانحن أصبحنا وحيدين،" قال الرجل.

- "نعم، صحيح،" ردت المرأة.

- "ما بك؟"

- "لا شيء."

- "كيف وأنت تبدين هكذا؟"

- "قلت لك لا شيء."

- "كل شيء على مايرام. لن يكون هناك أي خطأ. ثقي بي."

- "الأشياء تبدو جميلة متى ما كانت حلماً فقط، ولكنها تنقلب كابوساً عندما تتحول إلى واقع."

- "ماذا تعنين؟"

- "أعني أنه كان يجب أن أكتفي بالأحلام فقط."

- "أية أحلام؟! اتركيها جانباً ودعينا نستمتع بواقعنا."

اقترب منها الرجل وجلس بجانبها على السرير

واضعاً يده على كتفيها. ابتعدت المرأة عنه فقامت وجلست على أريكة في زاوية الغرفة ثم قالت: "أرجوك! دعنا نذهب الآن."

- "ماذا؟"
- "أريد أن أذهب."
- "لماذا؟"
- "أشعر بالغثيان."
- "بعد كل هذا تريديننا أن نذهب."
- "نعم."
- "وهل أغضبتك بشيء ما؟"
- "لا. ولكني متضايقة، لا أعرف لماذا."
- " لاداعي أن نتكلم الآن. فقط عليك الاسترخاء قليلاً وسأطلب شيئاً نشربه."

أخذ الرجل سماعة الهاتف، واتصل بخدمة الغرف طالباً قدحين من الشاي. بقيا صامتين لفترة.

عندما سمعت المرأة طرقاً على الباب اختفت في حمام الغرفة بينما قام الرجل بفتح الباب وأخذ الشاي من النادل.

"بإمكانك أن تخرجي الآن، لقد ذهب." قال الرجل.

وضع كأس الشاي أمامها ثم قال: "بماذا تشعرين الآن؟"

- "لا أدري."

- "ما تشعرين به شيء طبيعي لابد أن تتجاوزيه. يجب أن نكمل طريقنا حتى النهاية من دون أن ندع أي شيء يعكر صفونا."

- "تقصد يعكر صفوك أنت."

- "ما يضايقك يضايقني."

- "هل هذا صحيح؟"

- "وهل لديك شك في ذلك؟"

- "لا أدري."

- "المهم يجب أن تتيقني تماماً أنني لن أعمل شيئاً قد يسبب مضايقتك. والآن هيا ابتسمي وتجاهلي الدنيا قليلاً."

- "لا أستطيع. فما أن تتلبسني مثل هذه الحالة يصبح من الصعوبة الفكاك منها."

- "ماذا تقصدين؟"

- "أقصد أنه يجب أن نذهب الآن."

– "لقد كان كل شيء على مايرام. ما الذي غيرك الآن؟"

– "لقد تأخرنا ويجب أن نكون هناك في وقت مبكر."

– "صدقيني، كل شيء يسير كما خططنا له. مازال الوقت مبكراً. لماذا كل هذا الخوف؟"

– "أنا لست خائفة ولكني لا أريد القيام بعمل أي شيء."

– "نحن لا نقوم بعمل أي شيء ولكننا نعمل ما يمليه علينا واقعنا."

– "أي واقع؟"

– "واقع أن نكون أنفسنا دون مراء أو تزييف."

أطرقت المرأة قليلاً من دون أن تنطق بأية كلمة.

أردف الرجل: "لنؤجل الحديث في هذا الأمر لوقت لاحق، فأمامنا أشياء كثيرة سنقوم بها."

أسدل الرجل الستارة وأطفأ النور وبدت الغرفة هادئة إلا من صوت قطرات المطر التي بدأت تنهمر بغزارة.

* * *

علـــــــــــي
اسـماعيــــل
الريــاشـــــي

(اليمن) نشر العديد من القصص في الصحـــف والمجـــلات. مجموعته الأولى تحت الطبع.

أجراس الحي الميت

استيقظ بعد نوم عميق على أصوات مختلفة تتاهت إلى سمعه، ولكن صوتاً واحداً شده إليه بتواصله الذي لا يكاد ينقطع حتى يتصل ثانية، إنه صراخ لم يكن بعيداً عنه، نظر في ساعة الحائط التي كانت تنذر بقرعتيها تمام الثانية صباحاً، وخرج لتوه ماشياً بحذر على أطراف قدميه كراقص باليه كي لا يوقظ أحد النائمين حاثاً خطاه تجاه الصوت الذي قاده إلى مزبلة الحي حيث تراكمت أكوام من القمامة تغوص فيها مجموعة من الكلاب والقطط تُبعثرها مما يزيد من فوح رائحتها النتنة التي أزكمت أنفه

الأخنس بأرنبته المرفوعة إلى الأعلى، وصل وإذا به يرى قطعة من القماش ناصعة البياض كأكفان الموتى وهي تهتز قليلاً فتتباعد عطفاتها، ثم يقف اهتزازها فتعود إلى ما كانت عليه في السابق من التفافها وتكورها، اقترب منها ببطء شديد وقد سرت في جسده رعشة قوية حين انطلقت من قطعة القماش صرخة زادت من هروب الكلاب والقطط إلى مسافة أبعد مما كانت قد هربت إليه في السابق حين رأته يحث الخطى إلى المزبلة.. لقد كانت صرخة استغاثة من ذلك الطفل المولود لتوه إلى دنيانا، عرف حينها أن الشيء الذي يتحرك داخل قطعة القماش هو طفل وُلد وطالعه السيء ينتظره بين أولئك المتلذذين بآلام المخاض والمؤتمنين على سر ولادته المريبة.

وفي الوقت الذي كان الطفل يواصل صراخه؛ دنا منه ليأخذه بين ذراعيه اللتين كانتا ترتجفان من شدة البرودة، توقف الطفل عن البكاء، فمد يده ومسح بكفه رأس الطفل الناعم كنعومة الأزهار، حينها أخذت رعشة خفيفة تسري في الجسد الرقيق للطفل وهو بين أحضانٍ غريبةٍ تمنحه الدفء، لقد أدام النظر إليه يتأمل عيني الطفل البريئة والتي لازالت لم تر النور بعد لترى وحوش الحي المتقمصة أجساد بشر، حتى يعرف ضحية من هو،

كي يجد جواز مرور إلى حياة الغاب هذه، راودته أفكار كثيرة حول الطفل الذي أصبح بإرادة غيره جزءاً من هذه المزبلة، وتساءل: أين يذهب به؟، وفكر في أن يعود به إلى المنزل الذي لم يكن منزله، ولكن الجميع سوف يسألونه: من أين جئت بابن الدهليز هذا؟، ولماذا تركت المنزل في وقت متأخر من الليل؟. إنهم حتماً سيطردونه من منزلهم ولن يستطيع أن يؤوي نفسه، فكيف به يتحمل وزر هذا الطفل؟! وفكر في أن يذهب به إلى أقرب دائرة أمن، ولكنهم سيكافؤونه باتهامه باقتراف خطيئة هذا الطفل، دعك عما سوف يلم به نتيجة إنكاره لهذا الاتهام الباطل، من أن يسجن ويحقق معه التحقيق تلو الآخر، وما سوف يترتب على ذلك من أمر طرده من المنزل الذي يأويه، وما إلى ذلك من الشتائم التي ستنهال عليه والاتهامات التي سيوصم بها، ومؤكد أنهم سوف يتهمونه بأشياء لن تخطر ببال أحد وسوف تنسج حوله الأقاصيص والأباطيل، ولهذا وذاك عاد أدراجه إلى الوراء تاركاً الطفل في مكان أنظف من السابق وقريباً من أنظار المارة ليتمكن أحدهم من رؤيته.، تركه ولم يكن قادراً على أن يطاوع مشاعره حتى في البقاء إلى جانبه. تركه يواصل صراخه الذي ظل يتعالى ويتعالى كصرخة اعتراض أبدية.

إن صراخه كان بمثابة أسئلة أبدية تقول: لماذا ولدت؟! وما جدوى أن أعيش في هذا المجتمع الميت متحملاً وزر الآخرين حتى وإن كانا والديّ؟!.

عاد إلى المنزل والصراخ لم يفارقه بل ظل يرتفع ويرن في أذنيه رغم ابتعاده عنه، وكأنه أصبح ينبعث من داخله هو وليس من فم الطفل الذي تركه في ضاحية الحي، عاد بخطىً مثقلة بصراع عنيف يدور في رأسه حتى استلقى على فراشه دونما شعور.

كان صراعاً حاداً بين مشاعره الإنسانية وضعفه الناتج عن القيود التي يفرضها عليه قانون حياة الغاب، القانون الذي يجرده من هذه المشاعر ويفقده قيمته كإنسان، ولم يزل هذا الصراع دائراً في رأسه ويثقل حركة جسده على الفراش حتى انبلج الفجر فغفت عيناه قليلاً ليفيق إثر ضجةٍ اضطرب لها الحي كله لوجود مولود ميت مرمي بضاحية الحي، لم يستطع كتم مشاعره التي كان تعبيرها أن انهمرت الدموع من عينيه بغزارة وظل ينتحب طويلاً وصوت يتردد في عمق أعماقه: أنا القاتل.. أنا القاتل، كوني وجدته حياً ولم أنقذه حتى بقطرة ماء.. استجمع قواه ونهض ليلقي عليه نظرة الوداع الأخيرة.

تقدم نحوه مخترقاً الدائرة الواسعة التي تشكلها

شعوره بالذنب إلا سماعه لخبر واحد وهو أن الكثير كانوا يمرون بالقرب من ذلك الطفل وهو يستغيث بهم دون أن يعيروه أدنى اهتمامهم بل تركوه لقدره المحتوم، تركوه يواجه تنفيذ الحكم المسبق عليه بالموت نظراً لمجيئه على ريبة لامرأة فضلت المتعة الرخيصة على الأمومة الغالية، ولوحش ينهش في أجساد حفيدات حواء، لقد كان أحد القائمين على تنفيذ قانون الغاب بالرغم من بزته ذات اللون الكاكي المتوجة بالنجوم النحاسية التي تدل على أنه يحمي قانوناً بشرياً.. انتفض من مكانه صارخاً في كل من حوله متسائلاً:

ما ذنبه أن يحكم عليه بالموت؟ وما جدوى أن يواصل نموه الجنيني في بطن أمه بالرغم من الحكم المسبق عليه بالموت؟.

وقرعت أجراس الحي الميت لتستيقظ أجساد ساكنيه دون أن تستيقظ مشاعرهم التي واروها اللحد برفش الرغبات ومعول الملذات.

* * *

منى عبدالله الذكير

(السعودية)، أصدرت أعمالاً أدبية، منها المجموعة القصصية ظلال سحرية (1994).

طعم العسل.. طعم النار

تنساب الموسيقى ناعمة إلى ذرات روحها فتحلق في فضاء فضي. الغرفة مظلمة، والوسادة تلامس رقبتها من الخلف وكتفيها بنعومة ماتعة. كانت ثملة بالنعاس فغاصت سريعاً في لجة داكنة تلتمع بتألق وامض. كانت ترتقي سلماً، ألقت نفسها فوق سطح لدارٍ مألوفة، ولكن استقر شعور بالوحدة ثقيلاً في عمق وجدانها.

كانت هناك حشية تمتد قرب جدار غير مرتفع يُطل على اتساعٍ رحب، جلست وقد اتكأت بظهرها

مسترخية على مسندٍ أبيض مطرز الحواشي. إحساس مبهم يشد نظراتها نحو السماء. فجأة يبزغ القمر مكتمل الاستدارة حيث يبدأ بالانحدار رويداً نحو الأرض، فتراه يكبر ويشف مثل بلورة نقية.. بصرها متعلق به بقوة غامضة! السماء منبسطة وساكنة، والقمر يواصل رحلة الهبوط متجهاً نحوها بإصرار. ملأ الفضاء أمامها وقد أصبح قريباً من وجهها مستديراً ونقياً حتى لترى أعماقه شفافة ومضيئة. فكرت وشعور بالرهبة يملأ جوانحها، بأن القمر مكانه هناك بعيداً ونائياً يأتلقُ بالسحرِ والغموض. امتدت أناملها تتلمس سطحه الذي بدا ناعماً وزجاجياً وقد تناثرت فوقه بضع نبتاتٍ صغيرة وشديدة الخضرة ومتباعدة وقد انحنت وريقاتها بدعةٍ مترفة. أغمضت عيناها وخوفٌ يتسرب إليها. أخيراً عاود القمر رحلة صعوده مرة أخرى إلى مستقره الأخير.. هناك في السماء قصياً وجميلاً وبعيد المنال. أفاقت والحلم يملأ خيالها فأحست بالتشاؤم، ثم استبشرت. وأخيراً صمتت تدس الرؤية في حنايا قلبها.

ظلت بعد ذلك لسنوات تعاودها ذكرى القمر

يداعب بنوره وجنتيها بنشوة دافئة، حكت لأحدهم قال: سوف يكون قرينكِ كبيراً أو عظيماً! خفضت رأسها وابتسامة مترددة فوق شفتيها وهمست: لا أريد كبيراً.. بل حبيبي فقط.

توقف وجيب قلبها للحظات وقامت تجول في أرجاء المنزل تبحث علّ وجههُ يبزغ من زاويةٍ ظليلة، أو قد يفر من صفحة كتاب. تحن إليه حينما تعاودها الذكرى ثم تقصيه سريعاً عندما يتفجر الألم. كان حبهما زهوة الشباب، وطعم الغيرة المحدقة، وروعة العاطفة المتأججة كل تلك الانفعالات الخاوية والثلجية انطوت إلى الأبد.

- لماذا انفلتَّ من عوالمي المسكونة بحبك؟ وجم.. كان يقترف الأخطاء دون شعور بالإثم أو الانتقام.

الآن تجلس تستعيد حياتهما معاً، وتتذكره كما القمر بعيداً وقصياً في واقعها دانياً في وجدانها وقال لها فيلسوف: القمر الداني كارثة، اهربي بجلدك الأسمر وفتنتكِ غير المنظورة.

تبسمت كعادتها: لـن تـهـرب مـن قدرهـا سـتتلقاه مثلما تتلقى حبيباً غائباً، تحتضنه وتعانقهُ ويموتان سـوياً هي والقمر فقط.

* * *

أحمد عبدالرحمن العرفج

(السعودية)، كتب العديد من القصص. مجموعته الأولى تحت الإعداد.

موت متأخر!!

دخل، ولسانه يلوك كلمة تعرجت من مضغ المتحدثين، وقال: ستموت إن كتبت، وستموت إن لم تكتب، فاكتب وأنت في الحالين قاتل!!

رنّت الكلمة - بطغيانها المهيب على حاتم، وجلس يذرع الغرفة صمتاً وتفكيراً!!

وتذكر أنه قرأ عشية ثقافة: أن أجمل ما يحدث في الحياة، يأتي متأخراً!! فنظر إلى ساعته، وقد كانت العقارب تشير إلى (اللاجدوى)!!

كان غيابه عن الزمان يأتي بانتظام - بين حضورين - ثم يستيقظ على واقع أصفر، ويلفُّ الأفق باستفهامات شتى، آخرها شبيه (بالضحك الصامت)!!

قال له صديقه - وهو يحاوره - ما الفرق بين الوعي والتوعية؟!

أطرق حاتم، حين داهمه هذا الاستفهام الرابط لمعاني النمو القسري.. لأنه ظنّ أن الأمور مرهونة بأوقاتها!! فلِمَ الركض الأرنبي، الذي ليس وراءه إلا تعب الخطوات، ووجع الدرب؟!!

فكر حاتم، وقدّر، ثم مال بطرفه إلى ديوان شعر عتيق، وحاول أن يجدد حنجرته، ويعيد كتابته وفق مُصاحبات الإنشاد الجديدة.. ولكنه وقف بين الشلل والموت!!

انطفاء

بعد سبع وعشرين قصيدة، وثلاثة انطفاءات، كبر المجهول في مفاصل حاتم، وغادره الفرح، وبراءة

الخبث، واكتشف – الآن – أن الموت حاضرٌ في سذاجة الطفولة، وصراع الحكايات السخيفة.

يجلس كل مساء متقلاً بنصوص أقحمت في جمجمته – دائماً – تسطو عليه بذخيرتها الدلالية واللفظية، حاول غير مرة، أن ينسلخ من الجسد الورقي الذي يضمه في طغيان صاخب!!

قال له معلمه:

جرّبْ أن تسمع بعينك، وتشاهد بأذنك، لأن الجريمة قرينة الوضوح..

عرف حاتم (الحقيقة) فاستعاذ بالوهم، لأن الصوت العالي، لا يعني الحق دائماً!!

اشتعال

مضى حاتم متأبطاً (ترهل الفهم – وتهدّل اللغة)، في محاولة يائسة لتركيب الأسباب كي يفهم الوقائع، فلم يدرك الأسباب، وأضاع طريق الوقائع!!

لماذا استوعب الشكُّ ذهنية حاتم، تسرّب إلى أماكن تفاصيله الصغيرة، وهكذا بدأ الغياب يأخذ منه شيئاً فشيئاً، فأدرك مرارة (الأخذ الوبيل)!!

كل الدلائل توحي بأن المجال ضيق لإنتاج حوار مشترك بين الحضور والتصور.. لأن الذين في أطراف القوة، يريدون لفلسفة (الكلام) وتغييب الفاعل، ولأن نائب الفاعل أقرب من حبل الوريد!!

نزاع

(إن نصف المعرفة أشد خطراً من الجهل) هكذا كان يقول حاتم..

يقوله في حرية لا تقبل أن يتغنّى بها، معتقداً أن ما يقوله أهم مما تنشره الصحف.. بل إنه قال ذات سر لأحد أصفيائه (إن ما تنشره وسائل الإعلام ليس بالضرورة صحيحاً، بل لا يتصل بالواقع البتة!!)

كان يظن صوته مفرداً يذوب في مفردات

المجموع، إلا أن الرجال كالأرقام: قيمتهم تتوقف على مواضعهم.. هكذا كان يظن - على الأقل.!!

حرية

الصمت الذي يعذبه، كان حكمة استقاها من مدرس اللغة العربية - ذلك الأبله - الذي ترفعه الضمة، وتنصبه الفتحة..

استمر في صمته حتى نسي (الكلام الطيب)، ثم اكتشف أن متكلماً فرداً، يثير عشرة آلاف صامت، فاستبدل الصمت بالصراخ...!!

الصمت حكمة.. الصمت إبداع.. الصمت من ذهب.. إلى آخر هذه السلسلة، التي اثقلت ذاكرة حاتم فأراد أن يغسلها، لكن حالت دون ذلك زيارته للصين، حين وجد الناس - هناك - يتدثرون بالصمت.. وقال في نفسه:

الصين صامتة عن حكمة.. فماذا عن صمتي،
والصمت لا يعني السكوت.. أمام أمنية تموت!!

* * *

أشرف العوضي

(قطر) نشر قصصه في العديد من الصحف والمجلات.

المقبرة..

لم أكن ساعتها أستطيع البوح لأحد بما يجول في خاطري، ليال كثيرة قضيتها وهذا الأمر يطغى على كل أموري الحياتية، فقد هجرت اللعب مع أقراني ولم أعد أحفل بما كان يسعدني، سواء تلك الحلوى التي يجلبها أبي كلما عاد من عمله أو كيس التوت الذي كان يخصني به خالي من شجرته المزروعة على رأس حقله، حتى فاطمة ابنة خالتي وصديقتي الأثيرة لم أعد أكترث بزيارتها لنا كسابق عهدي بها عندما كانت

تحضر مع ألعابها لنقضي يومنا كله نلعب لعبة العريس والعروس، فانسحبت في هدوء وهي تمسح دموعها دون أن تعرف ماذا ألم بي هذه الأيام، أنا الذي كنت أنتظر زيارتها لنا على أحر من الجمر، وأنا الذي لم أكن أخجل حين تقول أمي باعتزاز وسعادة: "والله لايقين لبعض.. لازم نجوزهم لما يكبروا".

لم تلاحظ أمي ماذا ألم بي أول الأمر غير أن الكآبة والحزن اللذين كانا يكسوان ملامحي كشفا عن بركان الأسى الذي يموج بداخلي أنا الطفل الذي لم يتجاوز العاشرة، ومع ذلك بت أبدو كشيخ في الستين ضاع ماله وولده، غير أني لم أستطع إخفاء هذا السر الكبير عن جدي العجوز الطاعن في السن، والذي أشاركه فراشه ولا يسمح لأحد غيري بدخول حجرته والعبث بحاجياته القديمة، فأنا دون إخوتي من يستطيع ارتداء طربوشه القديم الذي يحرص على نظافته من حين إلى آخر رغم أنه لم يرتده منذ أمد بعيد، حتى منشة الذباب من ذيل الحصان التي يعتز بها كنت كثيراً ما أخرجها من مكمنها في الدولاب الخشبي العتيق

فلا يعترض ولا يشكو، فقط كان يطبع قبلة حانية على جبيني وينخرط في ضحكات معسولة عندما أقول له إن لحيتك بها شوك يا جدي. ولأني كنت أصغر أحفاده من ولده الوحيد فقد كان جدي كثيراً ما يأخذني معه في تنقلاته المحدودة، عندما نذهب معاً لزيارة الحاج السنوسي صديقه الوحيد الباقي على قيد الحياة، والذي كان يخصني بكثير من الكراملة والحلوى، ثم ما يلبثان أن ينسياني ويخوضا في حديث الذكريات يجترانها بمتعة واستغراق عميق دون ملل. وفي الأماسي كثيراً ما كنت أحظى منه بحكايات ما قبل النوم، وكم كان بارعاً فيها إلى درجة كبيرة، غير أنه ذات ليلة بعدما اعتراني ما اعتراني من كآبة وحزن سألني: "مالك يا وله شكلك مش عاجبني كده من كام يوم فيه حد من العيال ضربك". ساعتها فقط انهرت واعترفت له بما يجول في نفسي من خواطر حزينة وسؤال لا أعرف له إجابة قلت له متسائلاً: لماذا نحن فقط يا جدي دون غيرنا من أهل البلد ليس لنا مقبرة نزورها كل خميس ونزرع حولها الصبار والريحان ونحضر الشيخ مسعود ليقرأ عليها القرآن بعد أن نعطيه البرتقال والتمر؟ أنا لا أستطيع أن أواجه أصدقائي الذين

يقولون لي إنكم لا تموتون مثل بقية الناس لأنكم من أولاد الجن، حاولت أن أقول لهم إننا مثلهم تماماً وإذا بهم يقولون لي إذن لماذا لا يوجود لكم مقابر مثلنا؟ حتى عندما يتجمع الصبية بعد العصر للذهاب إلى المقابر لا أستطيع الذهاب معهم مع إني أحب سماع الشيخ مسعود وهو يقرأ القرآن، لأن كل واحد منهم يعرف إلى أين يتجه، هذا إلى قبر أبيه وذاك إلى قبر جده أو عمه، أما أنا فأقف خجولاً مرتبكاً لا أدري ماذا أفعل.

وفي المرة التي ذهبت فيها معهم ووقفت أمام قبر عم محمود المدبولي جارنا وهممت بقراءة الفاتحة له نهرني ابنه محسن وقال لي هذا قبر أبي وأنا وحدي الذي أقرأ له الفاتحة فانزويت باكياً والأولاد يشيعونني بضحكاتهم الممتزجة بسخرية كبيرة.

أتذكر يومها أن الجد صمت لحظات ثم أخذني في حضنه وقال: يا ولدي نحن لسنا من هذه البلدة لهذا لا تجد لنا قبوراً فيها، فمنذ قدمت أنا وجدتك. منذ أكثر من خمسين عاماً، لم يمت منا أحد حتى بعد أن أنجبنا أباك وتزوج منهم مايزال أهل القرية يسموننا الغرباء،

ولكن اعلم أن لنا قبوراً أكبر وأفخم من قبورهم تلك وأن لنا أهلاً هناك لا تعدّ ولا تحصى.

لم أقتنع بما قاله الجد ولم يقتنع أصحابي عندما نقلت لهم ذلك الحديث، فلقد ولدت هنا ولا أعرف لنا قرية أخرى، صحيح إنهم يقولون لي دائماً أن جدي قد أتى إلى هنا مع مشروعات الحكومة لتوسعة النهر وأن أهله وعزوته مايزالون هناك في الجنوب، وهم كثر غير أني لم أر أي واحد منهم يزورنا. ولم أكن أعرفهم إلا من حكايات جدي الذي كانت عيناه تدمعان عندما يتذكرهم. كانوا طيفاً عابراً سرعان ما يزول. أما أنا فما أريده ليس بالكثير، أريد مقبرة أذهب إليها وأرى اسم أسرتنا منقوشاً على رخامها ولا أريد أن ينعتني أصدقائي دائماً بالغريب أو ابن الجن والعفاريت. ظل ذلك الأمر هاجسي وشاغلي. إلى أن مات جدي ومنذ ذلك اليوم عرفت كم يكلف أن يكون لنا قبور تزار، ويزرع حولها الصبار والريحان ويقرأ عليها الشيخ مسعود القرآن بعد أن يأخذ البرتقال والتمر.

* * *

إبراهيم العميم *(السعودية). كتب العديد من القصص. مجموعته تحت الإعداد.*

ليتك كنت ولدا

تصحو باكراً - كعادتها كل يوم - قبل طلوع الشمس تعبر مزرعتها تنظر إلى زهرة دوار الشمس عن يمينها وعن يسارها، وتبتسم له بلطف وحنان، تهديه قبلة، وتمضي إلى آخر المزرعة عند حدودها الشرقية. تصل النفود حافية القدمين. تتحدث في الرمل الذي يداعب قدميها ويديها. وتضحك ضحكة مرتفعة أيقظت أشجار الأثل فاهتزت أغصانها، محيية لها. تصعد إلى رأس النفود واقفة تنظر إلى الكثبان الرملية. تتمنى السباحة في العمق إلى انحناء السماء عند آخر الكثبان. تجلس متربعة،

تصغي في هذا السكون إلى زفير الأرض، وتشاركها شهيقها، فقد أفاق على خطواتها. ترفع رأسها نحو القمر، وبالكاد تراه فتدمع عيناها، وتحني رأسها حزناً على موته، وبعد دقائق ترفع رأسها، وتصرخ فرحة بمولد الشمس، تقفز من مكانها كجندب، ترفع يدها مشيرة إلى الشمس تستحم بأشعته، تتقلب على الرمل البارد فيضمها وتسابقها حياته لالتقاط أشعة الشمس الدافئة.

منذ خمسة عشر عاماً، وبدرية تشهد موت القمر، ومولد الشمس. منذ خمسة عشر عاماً، وهي تعيش مع القمر في موته، ومع الشمس في مولدها.

تنزل من قصرها العالي - بطريقتها الخاصة - مسرعة بثوبها الطويل. تسقط عندما تصل استواء الأرض، تقوم وتنطلق باتجاه النخل. تقف متأملة نخلتها المفضلة، تسرع إلى أقفاص الدجاج، وبيت الأرانب قرب البيت، تفتح الأبواب فتنطلق الدجاجات يتقدمهن الديك (معروف) رافعاً صوته المزعج، محركاً جناحيه الخشنتين. لقد كانت تكرهه، تكره فيه غروره، وتسلطه على دجاجاتها الوديعة. تسمع أمها تناديها بصوتها المتهدج.

- نعم يا أمي أنا هنا ماذا تريدين؟

- احلبي البقرة، وكوني لطيفة معها حتى لا ترفسك مرة أخرى.

- حاضر يا أمي سوف أعاملها كأخت لي.

تتشغل الأم بإعداد الفطور، ويفيق الأب من نومه متثاقلاً. يجلس ليتناول الفطور مع زوجته، وابنته الوحيدة. ينظر إليها بشيء من الأسف: لو كنت ولداً، ويطلق آهة عميقة، ويسألها سؤاله اليومي:

- هل صليت الفجر؟

- نعم صليت الفجر يا أبي.

- سوف نذهب اليوم إلى عمتك فكوني بنتاً عاقلة ولا تلعبي، فقد كبرت، وأصبحت امرأة. هل تسمعين؟

- حاضر يا أبي.

لم تذهب إلى عمتها منذ ثماني سنوات. كانت عمتها تحبها، وتقول بدرية لحمد، وحمد لبدرية.

بنات عمتها ثلاث هدى ونوال ومنيرة. نوال كانت صديقتها المقربة، فهي في مثل عمرها. فرحت بدرية. وبدأت تستعد لهذه الزيارة المفاجئة.

كانت الأم حزينة، وغير متحمسة لهذه الزيارة التي لم يعد لها. ولم تعرف عنها شيئاً.

في إحدى الليالي كان الأب مسافراً إلى الرياض، يقضي بعض حاجاته، ويزور أقاربه. جلست بدرية على فراش أمها، وبدأت الحديث:

- أمي اليوم كنت أغرق في البحر.

- أي بحر يا بنتي؟ البحر بعيد عنا.

- لا يا أمي البحر في الجهة الشرقية من مزرعتنا، خلف النفود.

- البحر بعيد عن قريتنا، البحر في جدة والدمام وما تتحدثين عنه صحراء.

- أمي أليست الصحراء عميقة، ومن يسافر فيها، وهو لا يعرف طرقها يتيه، ويموت، ويغطيه الرمل.

- نعم يا بدرية.

- أليست الصحراء ممتدة، ولا نستطيع رؤية نهايتها.

- نعم أيتها الشقية.

- أليست الصحراء تخبيء كنوزاً، ودانات.

- نعم أيتها المتعبة.

- إذن الصحراء بحر، إلا أن لونها أحمر، ولون

البحر أزرق، البحر انعكاس للسماء والصحراء انعكاس للشمس، وحبات الرمل المتطايرة موج، وحشراتها الصغيرة وزواحفها الكبيرة سمك.

– لماذا لا تنامين، وتدعين عنك هذا الكلام السخيف.

– أمي أريد التحدث معك، فنحن لا نتحدث معاً إلا قليلاً، طوال الوقت تجلسين أنت وأبي، هو يتكلم وأنت تصغين.

– هيا تحدثي.

– لقد لمست الشمس، وتحدثت معها.

– إذا لم تنامي سأخبر أباك بجنونك.

– أمي.. أتحبين أبي؟ وهل هو يحبك؟ لم أرك يوماً تبادلينه الحديث، وتشكين له همك. هل يعرف اسمك؟ دائماً يناديك يا ولد. يا أم البنت يا بنت علي. لم تقولي له أبداً لا، لا أقدر، لماذا؟ ما هذا؟

ردودك دوماً: (سم). حاضر، على أمرك.

بينك وبينه حاجز، وسور عال. لا أدري متى ينهدم.

– أرى يا بنتي أنك كبرت، هيا قولي كيف لمست الشمس.

– النخلة شمس مرتفعة كالشمس. رأسها مستدير كالشمس، وسعفها الأصفر المتدلي، والمنحني، والمائل، والواقف، أشعة الشمس.. ينادي الأب زوجته يا أم البنت.

تقفز من مكانها كمن لدغته أفعى، مسرعة إلى سيد البيت.

– تعالي اقتربي غداً سوف نزوج بدرية من ابن عمتها، حمد، فقومي أخبريها.

تدخل غرفة ابنتها حزينة. وفي نفسها غصة. وفي قلبها جرح عميق، أعمق من الزمان، ولا تدري كيف تبدأ، لا تدري كيف يكون الوداع، لا تدري هل هي التي دخلت الغرفة أم ظلُّ الأمر الناهي. وتتبدى أمام عينيها صورة طفولتها، وطفولة أمها وجدتها.

كانت بدرية مستلقية على فراشها، محتضنة شرشفها الأخضر، وعلى وجهها ابتسامة الندى على الورد الأحمر.

مسكينة يا بنتي، ليتني لم أنجبك في هذا المكان، الذي تموت فيه الزهور قبل القطف.

- بدرية هل نمت يا حبيبتي؟

- لا لم أنم يا أمي، أحس برعشة تهز جسمي.

- لا تخافي صغيرتي، ستزول هذه الرعشة في الصباح.

- أريد أن أخبرك خبراً مفرحاً، سيجعل منك امرأة.

قامت من فراشها، وزادت رعشتها رعشة.

- ماذا هناك يا أمي أخبريني بسرعة.

- غدا سوف تتزوجين من ابن عمتك، فاجمعي ثيابك، وحاجاتك لترحلي إلى بيتك الجديد، ومملكتك الجديدة.

- لا. لا أريد الزواج، لا أريد مفارقة منزلي، وأشجاري، وأرضي.

- كوني عاقلة يا بنتي، هذه سنة الحياة، واحذري أن يسمعك الوالد فيصب عليك جام غضبه.

- أمي، يا حضني الدافىء، وامتداد همي، يا شهيدة الصمت الذي يلتف حولي، لن أتزوج من حمد، ولن أنفذ أوامر أبي، أمي إني متزوجة من الأرض ومنجبة منها حبات الرمل، ودوار الشمس وأعشاب حقلنا الجميل.

أمـي لــن أتــرك دجاجــاتي الظريفـات، وأرانبــي الوديعات. من سيتعارك مع ديكنا (معروف) وينتف ريشه، مـن سيطعم، ويغسـل فـرس جارنـا حمـدان، مـن سـيحلب بقرتنا الغيورة. أمي إذا ذهبت سـتحدث كارثـة فـي... فلـن يختفي القمـر، ولـن تظهـر الشـمس، لأنهمـا إذا لـم يريـاني أودعهما، وأستقبلهما على كرسيي الرملـي، سيظنان أنـي مت، فتأسـى الشمـس، ويهيـم القمـر فـي متاهـات الفضـاء، وتصبح قريتنا ظلاماً في ظلام.

– آه يا بنتي مازلت صغيرة ليتك كنت ولداً.

* * *

بدريـــــة الوهيبـــي

(سلطنة عُمان) تكتب القصة والشعر

مواء

ينهض وجهي المنقوع بدموع البارحة.. بأحزانه، مترنحاً كالثمل، كلما أفيق من انهيارات النوم وأتذكر أنني لن أسمع صوته ثانية أتمنى ألا أفيق أبداً. النوم هو الحالة الوحيدة التي أغيب معها عن واقعي ولو لوقت قصير. أحمل وجهي على كتفين متهدلين وأسحب خطواتي رغم ثقلها، أشعر أنني أشبه بالخواء، حتى عصفور الكناري الذي أقتنيه لاحقاً ليسليني، وجدته محنطاً بموت غامض، مات لأنه لم يشعر بقيمته التي أحضرته لأجلها. كل شيء معرض للزوال إلا حزني، الشجرة التي لا تسقيها إلا

الدموع. هكذا أبتدىء يومي، هكذا ينتهي وهكذا أقضيه. بائسة أنا إلى حد يجعلني أشتهي الموت راحة لأرتاح، أنكفىء على نفسي وأتوه في هذه الذات. منذ تعرفت عليه، صاحبني إحساس إنني تحت مراقبة مستمرة من أهلي ومن الآخرين، وبأنني النغمة النشاز الخارجة عن القاعدة وعن إطار القيم، والنعجة التي انسلت عن القطيع أثناء إغفائه شاردة من عيون الراعي. قبله كنت ضمن جغرافية قيود وضغوط الأهل واختيارهم لمصيري، لكني استمديت بعض الجرأة من يقيني بحبه لي. خلقت نفسي وبنيتها من جديد. حلقت كفراشة حرة وكأن الدنيا تفتح لي ذراعيها لأول مرة. تبدل إحساسي بالوجود. عرفت لذة الأيام بالسهر والشوق. كان وجودي تحت مظلته يعطيني نوعاً من الشعور بالقوة والصمود. تعلمت منه أن أيامي لا يجب أن أدفنها تحت سرداب لا يفتح إلا بسبابة أبي التي دائماً ما تشير إلى إلقاء الأوامر الصعبة والقاسية. كنت لا أحمل لوالدي أي شعور بالحب والألفة لأنه لم يخلق لدي هذا الشعور، بل بالعكس كلما تغيب عن البيت في النهار أشعر بالأمان وبأنني على الأقل لو أخطأت عن قصد أو غير قصد فلن أعاقب ولكن تظل تهديدات أخوتي الواهنة

"بمواشاة" أبي كلما تشاجرت معهم أو تباطأت في تلبية أوامر أمي. أمي التي تجعل الصباح ربيعي دافىء، وجودها فقط ثروة لنا في بعض الأحيان وأكثر الأحيان مغلوب على أمرها. عاد أبي آخر النهار بعصاه التي لا تفارقه وكأنه خلق لها سمعته يخبر أمي عن شاب اسمه محمد سيأتي غداً لخطبتي، صفقت أجنحة فرائصي فرحاً. كان محمد هو الشخص الذي أحببته من خلف ثقب الباب وها هو يفي بوعده لي، صار الغد هو حلمي ويقظتي، في وجداني وضميري فرحة عميقة، أخيراً سأخرج عن عنجهية أبي وسجنه وشعور اللااكتراث وبعدمي، الذي ولده لي مذ خروجي أنثى.

جاء الغد ولم يجيء محمد، أوصد أبوابك أبي وأكسري زجاجة (الشربت) يا أمي التي سعيتي أن تكون نخباً لفرحتي. تسحب أمي ذيل "الفشيلة" خلفها وهي تنظر إلى ساعة معصمها تارة وساعة الجدار تارة أخرى، ولا جدوى.

تعانقت عقارب الساعة، وها نحن نقترب من اليوم التالي... ساد صمت عميق وكلّ ينظر في وجه الآخر. لاحظت أمي انكساري وذوبان جفني في دمعتين، نهضت

مرة أخيرة وهي لاتزال تنظر لساعة معصمها وساعة الجدار وعتبة الباب. الشارع الممتد من بيتنا إلى آخر بيت فارغ من الخطوات إلا من قط رمادي ظل طوال الليل يقفز محاولاً فتح الباب وقد "انتفش" شعره من البرد. ساد الصمت من جديد ونام أبي على جلسته، وأنا بدأت أشعر أن كل شيء داخلي يتحطم ولم أقو على فعل شيء سوى هطول الدمع يرعدني إحساس بأن حبيبي خذلني ولن يأتي. عاد القط من جديد ينقض على مقبض الباب بالقفز مراراً ومراراً، خافت أمي أن تبعده لأن الليل يحمل الغموض. من يعرف ربما شيء خفي على هيئة قط، وكان يموء وفي صوته حزن غريب، شعرت أنه يشاركني نواحي الداخلي وكأنه يستجدي أمي الدخول رغبة في الدفء. أطفئت الأنوار وغطت الأعين في النوم، إلا أنا يتوهج الأرق ماداً خناجره في صدري. أنا لم أعرف المنفى لأموت فيه لكني أشعر أن وجه هذا الليل يشبهه. في الصباح كان كل شيء يسير في جدوله إلا نظرات الشفقة التي سيّجتها أمي حولي كلما التقت عيناي بعينها. سألتني بصوت حنون: "هل نمت جيداً؟!". كانت تعرف أنني لم أنم. التقطتُ ملاحظة أحد اخوتي نحو خشب الباب يبدو أن ذاك القط كان يحفر

بمخالبه الباب البارحة للدخول. ما هذا القط الغريب؟ أمي بدا لها من أول وهلة أنه قط غير عادي. عاودت نظرات أمي تهدهد وجعي الذي أدخل الشك في قلبها سألتني وفي عينيها شك وريبة: "أكنتي تعرفين الشخص الذي خذلك وخذلنا، هل كنت تحبيه؟" صار اسمه مربوطاً بخذلاني الذي سيجعله مرفوضا لا محالة ولو حاول العودة من جديد. آه يا أمي إن حياتي انتحار بعده، يُتسم يتغلغل في مسام روحي. أخذت أيامي فيما بعد تختزن الجروح في أعماقي يوماً بعد يوم. لقد ترك كل شيء بعده مذبوحاً بقوة حتى قلبي، إلى أن سمعت أنفاسه جاثمة على أسلاك الهاتف، كان هو يعتذر ويطلب أن أسمعه وأعذره، مع أنني وعدت أمي أني لن أستمع إليه ولن أتسامح معه حتى لا أعطيه فرصة طعني ثانية، لهفتي عليه وشوقي جعلاني أضرب بوعد أمي عرض الحائط، ها أنا أضعف وأتسامح، ذهبت لأراه في مكان كنا نلتقي كلما رغبنا في الشجار والبكاء بعيداً عن الناس. وبدأت أردد ما سأقوله له من كلمات العتب واستنهاض ضميره لما سببه لي من إهانة وجرح، مع أنني على يقين أنني سأنسى الكلام عندما ألقاه وأترك لقلبي زمام الحديث. بدأت الدقائق تمتزج بنبضي

الأيسر حتى جاءني صوت أقدامه من آخر الرصيف.. مع كل خطوة، كان قلبي في هبوط حاد وأنا أتبعثر بشعوري الداخلي وكلمات العتاب التي أرددها قبل أن يصل لنقطة وجودي. تقترب خطاه، ها هو يتوقف خلفي وألتفت. أسمع صوت مواء معهود لديّ وأعرف لهفته القلقة.

* * *

سالمة الموشي

(السعودية) كتبت العديد من القصص. مجموعتها الأولى تحت الطبع.

الغراب الأشيب

الوقت هو الظهيرة "القايلة" كما يحلو لوالدي أن يسميها، اعتدنا نحن سكان المناطق الجبلية في "الطائف" في مثل هذا الوقت أن نسمع أصوات الغربان، نعيقها الذي ارتبط في ذاكرتي بقوايل الطائف القديم، قبل أن تغزوه المدنية وترحل عن سمائه تلك الكائنات السوداء، مظلومة في هذه الطيور الجميلة رغم سوادها الحالك إلا أنها تفردت بتميزها المحايد للتعبير عن وجودها في هذا الكون.

أسراب طائر الغراب كانت تحلق في دوائر متتالية

لفترات ليست بقصيرة وتصدر أصواتاً اعتدت الاستمتاع بها؛ فهي ترتبط في مخيلتي كطفلة في ذلك الوقت بالعديد من الذكريات، والخبرات التي تكاد تتلاشى من ذاكرتي! والتي لم يعد منها غير غبشة صور مرتبكة، والدي ارتبط هذا الوقت عنده بأجمل اللحظات التي تمر بيومه الشاق فقد كان رجلا ينحت في صخرة الحياة من أجلنا... يواصل أحياناً ليله بنهاره ليمنحنا حاجات كبيرة وصغيرة في ذات الوقت.

في تلك الفترة من ذلك الزمن تميزت "الطائف" بالعفوية والبساطة فقد كانت أشبه بطبيعة بكر، لم تتلفها عوادم السيارات، وضجيج الأسواق، والشاحنات ولم تغير وجهها الساحر "الفيلات" الباذخة والشوارع المرصوفة، أناسها بسطاء أيضاً، لم يلفهم صقيع الجفوة بعد، كل شيء كان طبيعياً، وبسيطاً، ورائعا...

وقت القيلولة كنا نجلس على بساط من "الخصف" في "الحوش" المفروش بالحجارة الصغيرة كعادة البيوتات في الأحياء القريبة من الجبال والتي لها نفس الطابع التصميمي البسيط.

في كل مرة في مثل هذا الوقت أعرض على والدي رغبتي في الحصول على شيء ما أسوة بكل الأطفال في الحي...

- وكان والدي في كل مرة يقول لي: انظري يا ابنتي لكل تلك "الغربان" التي تدور في فضاء الله حولنا...!

- أنظري... لها تبدو قريبة كثيراً، وشديدة السواد، وتنعق باستمرار حتى اعتدنا أصواتها حدّ الألفة.

- يواصل، انظري جيداً...

نعم يا والدي، أنا أنظر لها جيداً، أراها بوضوح.

- عندما يشيب أحد هذه الغربان ويبيض شعره، سأحضر لك كل ما طلبتيه...

- أصمت برهة... أحقاً ذلك يا والدي.. قلتها بكل الفرح الذي في العالم...

- يهز رأسه، نعم، نعم.. يقولها وهو يواري ابتسامة لا أدرك كنهها ثم يذهب إلى حيث ينام قليلاً...

أظل مستلقية على ظهري، أتوسد يدي، أتأمل زرقة السماء، وسحباً كقطن مندوف بيضاء كالثلج، وتحت هذه الخلفية الكونية تدور أسراب طائر الغراب في حركات دائرية تبدو كأروع لوحة في الطبيعة...

لم أمل... يوماً من تأمل السماء ومنظر الطيور والسحب وهي تُشكل مع الريح أجمل ما لديهما من فن،

تحت أجمل زرقة، لأجمل مكان فوق جبال منطقتنا التي ترتفع عن سطح البحر بما يوازي الثلاثة آلاف قدم، نعم لم أمل من التوحد مع جمال الطبيعة في تلك الفترة من العمر الذي كان يخيل لي أنني يمكن أن أمسك بالقمر عندما يكون بدراً من أعلى قمة في الجبل المجاور لنا.

... كل هذه المشاعر كانت تمتزج بأمل بريء وحلم ساذج... ساذج إلى ما لا نهاية، كنت أقول غداً... سيأتي...

وأستلقي، وأتوسد يدي، وأرقب سرب "الغربان" والسحب البيضاء، وزرقة السماء...

- والدي قال لي سيحقق ما أطلبه منه عندما يشيب "الغراب" قلت ذلك لأمي، ولاخوتي، وحتى ابنة الجيران، بالتأكيد هي يجب أن تعلم أن والدي سيحقق كل ما أطلبه، وأن ما علي إلا أن أنتظر أن يشيب أحد هذه "الغربان" التي تحلق بالقرب منا كل ظهيرة... لا شك أنها ستشعر بالغيرة..!!

قلت ذلك لنفسي بزهو كبير، نعم ستشعر بالغيرة... ثم إن الغراب لابد أن يشيب، وربما يأخذ ذلك وقتاً طويلاً... ربما لا يأتي العيد القادم إلا ويكون قد شاب أحد هذه "الغربان"...

... مر يوم، ويوم، وشهر، وشهرين وأكثر، سنة، وأكثر، ومازلت كل ظهيرة أتوسد يدي وأرقب.. سرب "الغربان"...!

لم أكن أعرف أن لدي كل هذا الصبر بما أؤمن به حقاً، لم أكن أعرف أنني أتعلم معنى أن أؤمن بأحلامي حتى أعتز بها، وحتى تصبح حقائق لا تقبل المساومة...!

وحدث ما منيت به النفس طويلا، بل إن سرب طائر الغراب تواطأ معي وهو يمر في أجوائنا قريباً جداً وبينهم غراب أبيض، بل وشديد البياض، ولشدة ما كان الأمر مفرحاً ومفاجئاً لم أصدق.. ما أراه!!

أعيد النظر وأنا واقفة، أدور حول نفسي، وأصرخ... شاب الغراب شاب الغراب... أضحك، أقفز، أعيد النظرة تلو الأخرى، بالفعل هو. أسرعت إلى والدي الذي كان نائماً في مثل هذا الوقت من الظهيرة...

والدي... والدي...

استيقظ... تعال معي...

لقد شاب الغراب... شاب... تعال معي، وانظر قبل أن يذهب بعيداً، إنه غراب أشيب حقيقي...!!

– رمقني والدي والنوم يغالبه...

وقال لي: ولكن كيف شاب يا ابنتي.. لا يمكن ذلك؟!

- أمسكت يده... بلى، بلى، إنه غراب أشيب يا والدي... غراب أشيب.. تعال وانظر معي... لا حجة لك ستأتي بكل ما طلبته منك أليس كذلك يا والدي.. أليس كذلك...؟

- نهض مسرعاً وأنا أمسك يده حتى "الحوش".

- انظر يا والدي... انظر...

كانت أسراب "الغربان" مازالت تحلق، وتنعق، وبينها ذلك الغراب الأشيب...

- نظر والدي إلى السرب... وساد صمت ونحن نتأمل كيف تتحقق الأحلام عندما نمنحها وقتنا، ننتظرها بصدق... أعاد النظر إليّ...

- وقال: ولكن هذا الطائر ليس غراباً على الإطلاق...

- ماذا...؟

- سقطت يدي من يده، ماذا تقول يا والدي؟!!

- أقول هو ليس غراباً...

- ماذا عساه يكون؟!

- إنه مجرد "رخمة".

- ماذا..؟! ما تلك الرخمة..؟!

- إنها طائر لونه الحقيقي أبيض، وهو هنا ربما بالصدفة، أو بالخطأ لفقدان سربه...

انصرف والدي دون أن يضيف ما يبدّد حيرتي... ويخفف صدمتي، أسرعت إلى أمي... هل حقاً أمي هذا طائر اسمه "رخمة" ولونه أبيض... نعم يا ابنتي نعم..

أسقط في يدي لابد أن الجميع يتآمرون لاغتيال حلمي الذي لن يتحقق إلا بغراب أشيب...!!

عدت إلى زاوية "الحوش" وفي ظل جدار يكاد يتهاوى أعزي نفسي في كل ذلك الشعور بالأسى، أسندت ظهري، أتأمل سرب الطيور السود، ونعيقها يملؤني بالحنق على كل الطيور السود التي لا تشيب...

أجهشت بالبكاء... لماذا لا تشيب... لماذا...؟! ولماذا يلحق بها هذا الطائر الأبيض الذي يشي لي بحلم لم ولن يتحقق... لماذا!!

لم أكن حزينة لأن الطائر الأبيض لم يكن غراباً أشيب... بل لأني سأنتظر أن يمر غراب يكون أشيب فترة ربما تطول كثيراً، هكذا كنت أؤمن بأحلامي حتى الرمق الأخير...!

ومرت الأيام، والأشهر، والسنوات، وأنا أكبر يوماً بعد الآخر، فلا الغراب يشيب ولا الأحلام والأماني تتحقق...!!

وما بين الأماني والأحلام ليل سرمدي لا ينجلي...!!

أدركت حجم المسافة بين ما نود أن نكونه، وما هو كائن في القدر...

أدركت كم كان والدي مثل حكيم يدلي بحكمته في ذاكرة لا تستسلم ولا تعرف التقوب...

أدركت أن كثيراً من الحقائق قد تكون مميتة، ولكنها قد تكون وسيلة لنتعرّف على كيف نقدر ونكبر صبرنا... ونحن ننتظر غراباً أشيب لا يأتي... لا يأتي...!

* * *

علـــــي
ســـــالم
اليزيـــدي

من مواليد 1951 (اليمن) أصدر مجموعات قصصية مشتركة. مجموعته الأولى تحت الطبع.

خلف* تفتح قلبها مساء

جلس فوق صخرة كبيرة تمتد من الشاطىء وتندفع كلسان إلى داخل البحر ومد رجليه نحو الماء وأحس بنشوة تتسرب من رأسه نحو جسده وأغمض عينيه وبلل وجهه بالماء وهو يحلم بما سيكون عليه حظه اليوم مع الأسماك، وفتح عينيه وصوب نظرة نحو سطح الماء المتماوج.

ليست أول مرة يأتي إلى هنا!، حيثما يوجد البحر

* خلف: منطقة ساحلية قرب المكلا.

يوجد السمك، ولكنه لا يعلم كيف سيلعبها معه الحظ. وظل ينظر نحو الماء وشعر به أليفاً كالعادة، وخاطب البحر الممتد أمامه، إذن نحن أصدقاء..! وفجأة سمع صوتاً قريباً مره يقول: اليوم سيء، لعل الأسماك رحلت، رد وهو يخاطب نفسه: مستحيل... ورفع بصره نحو الجهة اليمنى من مكان جلوسه فاصطدم نظره بمجموعة من الأشخاص وهم يصطادون السمك وسناراتهم ملقاة في الماء.. همهم، ربما لم يحالفهم الحظ، أو أنهم يحاولون خداعي ثم أن القمر لابد أن يصعد خلال لحظات وصيد السمك في (القماري) مثلما يقولون لا يخيب!

وعزم أمره وصرف النظر عما سمعه ورمى سنارته واعتدل في جلسته وأغمض عينيه... ما هي إلا ثوان ويصعد القمر.. والرزق على الله ثم إن البحر لم يرحل! وقد مرت عليه ليال كثيرة، فضل فيها الجلوس تحت ضوء القمر والاستمتاع بالهدوء الطاغي إلا من الأمواج وغير عابيء باصطياد السمك.. إيه يا خلف[1] يا مخبأ القمر والأسرار ، خلف البحر والأسماء والأماكن التي يتداولها الناس.. الرأس.. العظم.. قشارة بامنصور.. المقطوعة قشارة غالب.. المدابغ.. أسماء وضعها أناس

(1) خلف: منطقة ساحلية قرب المكلا.

قبلنا طافوا بهذه الأماكن.. تأملوا وحبوا وذهبوا وبقيت الأمواج وصخور الشاطىء، وذكريات لها فحيحها العالي الذي ينتقل من زمن إلى زمن ولا ينتهي، وسحب سنارته من الماء وتفقد الطعم ورماها وانتظر فترة فترة ولكن الخيط الرفيع لم يهتز، ربما أن السمك في القاع وسينقض الآن..!

وحده يصطاد وقد انتشر الهدوء حوله، وعند الأفق تلونت قطعة سحاب واحدة صغيرة باللون الأبيض، سحب الخيط من الماء علقه في الفضاء قبل أن يكومه فوق الصخرة.. ثم تذكر ما سمعه قبل لحظات وتساءل بصوت مسموع: هذا اليوم سيء!

وأعاد الرمي في البحر، لم يتحرك الخيط الرفيع، رفع بصره رأى القمر وقد صعد نصفه من خلف الأفق ولازال النصف الآخر يجاهد للصعود وتغنى بأغنية دان حضرمي بصوت هادىء واستدار نحو المكان الذي سمع وشاهد فيه أولئك الأشخاص فلم يلحظ لهم أثراً، وتمتم قائلاً لعلهم يتنقلون على طول الشاطىء.. هكذا هي عادة الصيادين بحثاً عن (مصيد زين) أو ربما ضجروا وذهبوا..!

سحب الخيط وتفحص السنارة.. لقد أكل السمك

الطعم.. ووضع طعماً جديداً في السنارة ولوح بها في الهواء وسقطت في الماء.

واكتمل القمر أمامه مباشرة وكسر بضوئه الظلمة التي سادت المكان لبعض الوقت وقال: الآن اشتعلت الأضواء وضحك بصوت عال! وكأنه قد أحس ببعض الضجر، وأنه قد بدأ يتكلم أو يغني أو يصرخ ورجال كثيرون يتكومون في قاع البحر ونساء سابحات. كان الماء نقياً ورائحة البحر تغمر المكان، ولكنه يشم رائحة عطرية، وتلفت حوله فشاهد أولئك الأشخاص يعودون أمامه وهم يلوحون له بأيديهم ولا يتكلمون.. لا يهمني أمرهم هؤلاء قوم نحس!. واصل غناءه وصرخاته وما الفرق في وحدتي بين أن أصيح أو أهمس ومن وسط الماء رأى طيفاً يصعد نحوه.. ألقى الخيط من يده ووقف جامداً في مكانه ورأى يدها تمسك بالخيط وسمع صوتها:

- لا تخف.. وعاد صوتها يخاطبه! لأول مرة تأتي هنا؟ وأخذ يزحف عن الصخرة ويحاول أن يقف على رجليه، ومدت يدها نحوه، ورأى أصابع يدها تشبه أرجل الحمام، مد لها يده وتحرك ببطء واستوى في جلسته وقال في نفسه: هذا آخر يوم أصطاد فيه!

وخاطبها: من أنت، لماذا أنا، من أي عالم أنت

الجن أم الإنس! وخيل إليه أنه سمعها تقول: ما بك أنك تضحكني! وشعر بأن الكلمات تتكسر على شفتيه ولا يقوى على نطقها..

- وخاطبته: أنشد!

ولم يرد، ظل صامتاً.. وسمع صوتها مرة أخرى.

- أسمعني ما كنت تنشده! واقتربت نحوه.. وتماسك وقال:

- هذا غناء..!

شهقت وهمست بحنان.. أعده!

- لا أستطيع ليس لي معرفة... آآنا..

ولم ترد عليه ولكنه شاهد سحابات من الحزن والدموع في عينيها.

- قال: ثم إني لا أعرفك..!

قالت: لكنك الآن تعرفني.. وتقدمت نحوه وواجهته حتى إنه أحس بأنفاسها تلفح وجهه.. وهدأ بعض الشيء وسألها:

- هل قذفت بك أمواج البحر؟

أومأت برأسها وأشارت إلى سطح الماء المغطى بأضواء القمر، وأضاف هو يسأل:

– هل تسللت مع هذا الضوء؟

ردت: أريد أن أسمع ذلك الكلام الجميل الذي كنت تهمس به:

قال: قد لا تفهمين منه شيئاً.

أجابت: ولكنه يطربني..

– آه حسناً، وشرع يرتب الكلمات واللحن وهو يغني بصوت خافت وبين حين وآخر يسرق النظر إلى وجهها، كانت تهز رأسها، وتضحك ضحكة صافية، واستمر يصدح بألحانه وتغلب على ارتباكه. وفي المساء اصطدم القمر بسحاب كثيف حجب سطوعه بعض الشيء وأرسى ظلالاً على المكان.. ورغم ذلك لم يحجب رؤية ملامح وجهها وقد غدت أجمل وحركة شفتيها وهما ترددان معه ما يقول، وتوقف وصوب نظره نحوها وقال: لو كنت شاعراً يا فاتنة لكتبت عنك قصيدة أنشدها لك في هذا الليل الرائع.

سألته: ألم تعد خائفاً!

رد: لو كان معي بعض الرفقة لربما أصابهم الخوف، ثم ألم يكن ما طلبته دليل حسن النية.. إنك نقية الروح ودافئة القلب فمن يحب الغناء له قلب دافىء!

ولم تنطق، بل هزت رأسها، ثم خاطبته: قل شعراً حتى يدفأ قلبي!

وقرأ بعض الأشعار وفضل أن يتريث في النطق ويجعل إلقاءه معقولاً.. وبعد أن أكمل التفت نحوها فوجدها تعبث بالماء وعيناها تدمعان! اقترب منها وسألها: دموع.. أنت!! وبإشارة من يدها طلبت منه أن يسكت.. وسكت وتحدث مع نفسه: لم يكن أمامي إلا هذا الخيط الرفيع، والآن أراك أمامي إنه شيء غريب حقاً ما يحدث! هل هذه ليلة حقيقية أم أنني أمام التخيلات يحضرني العقل... وما هذه المفاجأة التي حملها لي منتصف الليل، ما قصة هذا الطيف نحن نأخذ من البحر الإلهام والألحان، فلا ريب أنه مليء بحكايات العشق مثلما هي كثيرة أسراره، كنت أظن أننا نحن من نقف على الشاطىء لدينا قلوب تعشق وأخرى تكره وتظلم، حتى في البحر ترقص القلوب، صحيح أن الأعماق مخابىء وكهوف وطرقات يصعب اكتشافها وما في أعماقنا نحن البشر دليل بيّن. وهز كتفيه بصورة لاشعورية وأطلق نفساً عميقاً واستدار ليسألها ولكن تناهى

إلى سمعه صوت سقوط شيء بين صخور البحر، وعلى سطح الماء شاهد طيفاً يسبح برقة باتجاه التيار، خطا نحو الماء وعلى طرف الصخرة توقف وعيناه تتبعان التيار والطيف... ولم يتحرك الخيط الرفيع وعلا صوته يسأل البحر:

- ما قصتي مع السمك هذا المساء، ألاّ يبحث عن سنارة جميلة...!

* * *

هـــــــدى
عبـــداللـــه

(السعودية) نشرت قصصها في العديد من الصحف. مجموعتها الأولى تحت الإعداد.

كائن جديد

ليلة تنوء بثقلها.. داهمه خوف أن قد تدوم إلى قيام الساعة.. كاد يخلع ساعة مهترئة ويزج بها في صندوق القمامة.. عقاربها وثعابينها أعياها الدوار.. كان يومه زاخراً بضروب من المشاكسات ثمة من دسها في كل بقعة وطأها.. لم يتعثر.. كان يركل بكلتا قدميه ودخان حاول أن يكتمه تسلل من أعلى رأسه. ألقى بجثته على سرير خارت قواه.. ظن أنه سينام حتى الموت إلا أن النوم عافه كي يكمل حرباً ضروساً كانت جمجمته ميداناً لها. أغفى لدقائق وبعث من موته ليصفع جبينه. خيبة الصحو تزف لك

صباحاً وتنبئك بواقع لا محالة منه. أحس بثقل في رأسه لم يتبين سببه.. فكر في حمام بارد قد يمحو حـرارة تتلبسـه.. صب الماء على رأسه وبدأ يتحسـس رأسـه.. صـمت قلـب موجع حين جس كتلاً زائدة على جانبي وجهـه وعـاد قلبـه يقرع كطبل إفريقي. شد الكتلتين اللتين تدلتـا حديثـاً فـأحس بالألم.. سارع لإنهاء حمامه. هناك منشفة خضـراء علقت بإهمال على مشجب صدىء.. هرول إلى المرآة.. هاله مـا رآه.. فغر فاه وعلا حاجباه.. نفـرت كـل شـعرة بجسـمه.. كاد يصرخ فلم يستطع.. آثر الصمت. ها أنت تملـك أذنـي حمار.. ألا تظن أن الصمت أبلغ لكائن كإياك!

* * *

أحمد عبدالسلام محمد

(قطر) كتب العديد من القصص القصيرة. مجموعته الأولى تحت الإعداد.

الشجرة الأم

اعتاد أهل القرية أن يأكلوا من ثمار الشجرة الكبيرة التي تتوسط مزارع القرية، فقد سمعوا من آبائهم وأجدادهم أنها كانت الشجرة الوحيدة في القرية. كانت الشجرة كبيرة وارفة الظلال، وبالرغم من عمرها الطويل فإنها مازالت تثمر. يحق لأهل القرية أن يفخروا بهذه الشجرة، فقد كانت هناك أشجار عديدة في الماضي ولكنها فنيت كلها. كل الأشجار ناتجة عن الشجرة الأم، ولذلك فالناس كانوا معتزين بها مع عدم إهمال الأشجار الأخرى.

سمع أناس من القرى الأخرى عن الشجرة فقدموا إلى القرية، في حين أن قرى أخرى اكتفت بالأخذ من ثمارها لاستزراعها في أراضيها. بمرور الأيام أصبح الناس لا هم لهم إلا الحديث عن الشجرة وطيب ثمارها. كان الناس يزورون الشجرة في الأعياد حيث يستريحون تحتها ويتسامرون، ولم تكن الشجرة تبخل عليهم، فكانوا يطعمون منها أشهى الثمار.

أحس بعض الذين قدموا إلى القرية أنهم لا يحصلون على حقهم من الشجرة، وبمرور الأيام نضبت العيون والآبار وانقطع المطر. وجد الناس أن الشجرة لم تعد كما كانت فأهملوها، وصرفوا أنظارهم نحو الأشجار الأخرى. بعد مضي عدة سنوات ذبلت الشجرة فقرر الناس قطعها، ولكن وجهاء القرية رفضوا ذلك.

عقد كبار رجال القرية اجتماعاً ليحددوا موقفاً تجاه الشجرة. كان غالبية الحضور من الجيل الجديد، فاستطاعوا إقناع الباقين بضرورة قطعها. في إحدى الأيام اجتمع الناس، وأخذ الكل يضرب بمعوله جذع الشجرة إلى أن قطعوها.

ارتسمت البسمة على وجوه الناس وعلت الزغاريد. بعد فترة أحس الناس بأنهم قد أخطؤوا في حق الشجرة الأم، ولكن بعد عدة أيام هطلت الأمطار فارتوت الأراضي وامتلأت الآبار. عندها تيقّنوا بأن وجود الشجرة كان هو الذي حجب عنهم المطر، فأخذوا يحملون على تلك الأيام السابقة.

أصبحت الأشجار الأخرى موضع الاهتمام والرعاية من الكبار، إلاّ أن الشباب أخذوا يتطلعون إلى أمر آخر. في أحد الأيام أحضر أحدهم شتلة غريبة ذات منظر زاه. قام الشباب بزراعة تلك الشتلة مكان الشجرة الأم وأخذوا يولونها الرعاية والاهتمام. أخذت الشتلة تنمو بمرور الأيام إلى أن أضحت شجرة كبيرة. انتظر الناس عدة سنوات كي يروا ثمار الشجرة الغريبة وما زالوا ينتظرون.

* * *

إصدارات قصصية

تهدف هذه الزاوية إلى التعريف بالإنتاج المطبوع للقصة القصيرة في الجزيرة العربية من أجل التوثيق وتسهيل الوصول إلى مصادر نشره وتوزيعه. ففي كل عدد من **الراوي** سنحاول أن نقدم ببليوغرافيا عن عدد معين من المجموعات القصصية. ولذلك فإننا نهيب بالأخوة مبدعي هذه الجزيرة أن يرفدوا مكتبة **الراوي** بما لديهم من مجاميع قصصية حتى نساعد على تكريس الاهتمام المتزايد بالإبداع القصصي.

عبدالعزيز مشري – السعودية

* جاردينيا تتثاءب في النافذة

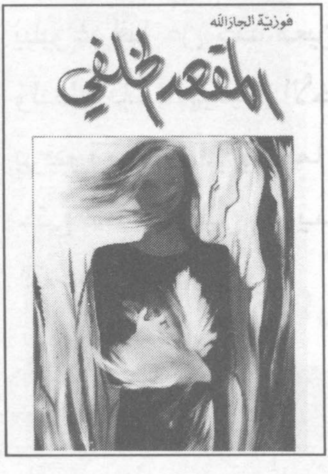
دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1998م.

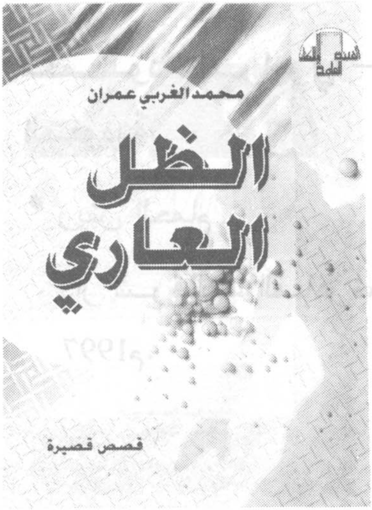


فوزية الجار الله – السعودية

* المقعد الخلفي

دار الجديد، بيروت، 1999م.

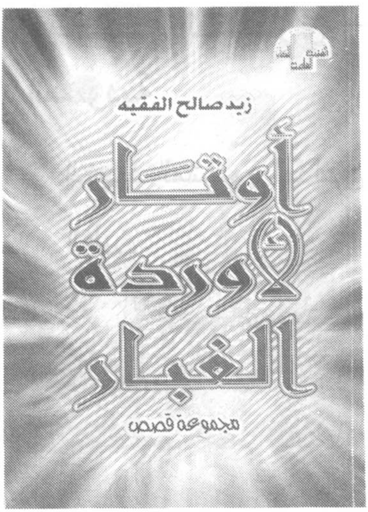




محمد الغربي عمران - السعودية

* الظل العاري

الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، 1998م.



زيد صالح الفقيه - اليمن

* أوتار لأوردة الغبار

الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، 1998م.



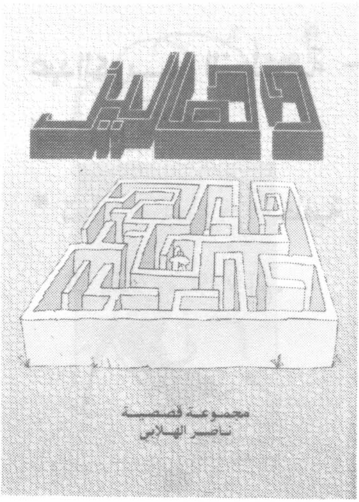
محمود تراوري - السعودية

* ريش الحمام
دار شرقيات، القاهرة، 1997م.



عبدالله القفاري - السعودية

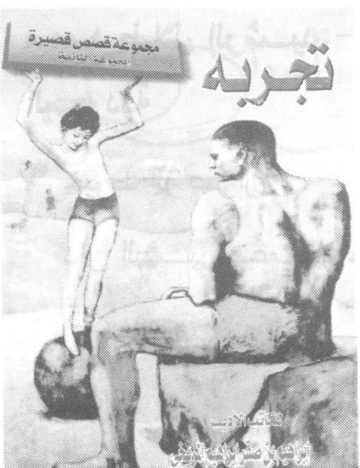
* الخيط المشدود لمدائن الطين
دار الأمل، الرياض، 1999م.



ناصر الهلابي - قطر

* دهاليز

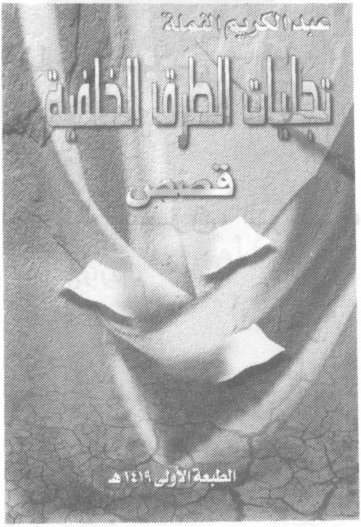
دار الشرق، الدوحة، 1998م



إبراهيم صقر المريخي - الإمارات العربية المتحدة

* تجربة

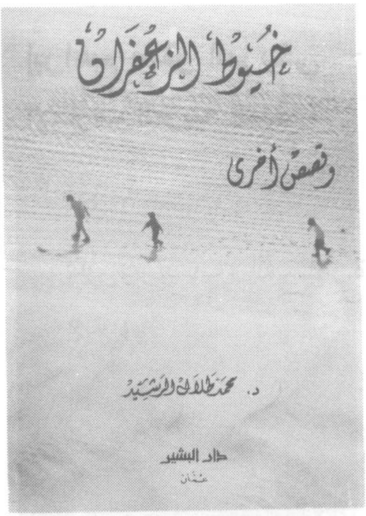
دار غريب، القاهرة 1998م.



عبدالكريم النملة - السعودية

* تجليات الطرق الخلفية

الرياض، 1999م.



محمد طلال الرشيد - السعودية

* خيوط الزعفران

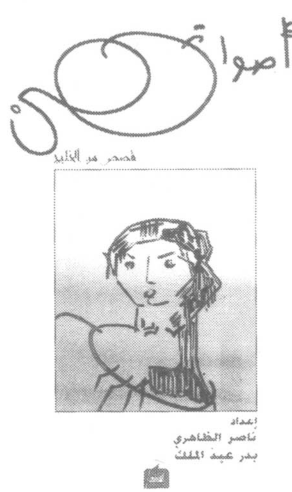
دار البشير، عمان، 1995م.



ناصر الظاهر، بدر عبدالملك

* أصواتهم (قصص من الخليج)

دار الفارابي، بيروت، 11998م.



ناصر الظاهري، بدر عبدالملك

* أصواتهن (قصص من الخليج)

دار الفارابي، بيروت، 1998م.